عقيدة الإمام
ابن جرير الطبري

تأليف

د. حمدان بن محمد الحمدان

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م





الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م



ت: ٠٠٩٦٦٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٠٠٩٦٦٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت : www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني : pop@madaralwatan.com

تقديم

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فكل من له أدنى صلة بالعلوم الشرعية يدرك ما يتمتع به الإمام العالم الجهبذ ابن جرير الطبري، والذي عاش في القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، من مكانة علمية سامية ومن احتفاء وتقدير من الدارسين للعلوم الشرعية، وأن التعرف على آثاره العقدية لَمِن أهم ما يفكر به المستفيدون من علمه.. وبناء على هذا اخترت أن أستخلص عقيدة هذا الإمام من خلال كتبه المتداولة.

ولقد رتبت الموضوعات على الطريقة الألف بائية، فإذا رجع الباحث إلى مظنة وجود الموضوع في أحد الحروف، فإما أن يجده أو يجد إحالة إليه في حرف آخر.. إن كان ذلك مما تطرق إليه ابن جرير في كتبه التي وصلتني.

ولقد حرصت على أن أثبت في كل موضوع ما يقرر ابن جرير بشأنه، وكأنه هو الكاتب بنفسه، وأن أحافظ على عبارته ـ ما أمكن ـ ليكون ذلك أقرب إلى إثبات مراده، ولم أدخل في مناقشة أو مقارنة أو تحليل أو ترجيح، حيث إن ذلك يقتضي كتابًا مطولًا.

ترجمة موجزة للإمام ابن جرير الطبري[١]:

نسبه:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري.

صفاته البدنية:

كان أسمر، أعين، نحيف الجسم، مديد القامة، فصيح اللسان.

مولده:

ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ٢٢٤هـ بآمل بطبرستان.

علمه:

طلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا وذكاء وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله.

زهده وورعه:

عرف ابن جرير بالزهد واكتفائه بما يرد عليه من حصة من ضيعة كانت لأبيه بطبرستان يسيرة، وكان يرد الأشياء المشتبهة التي تهدى له، كما فعل مع غلمان الوزير أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان.

شيوخه:

- منهم محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب.
- وإسماعيل بن موسى السدي.
- وإسحاق بن إسرائيل.

---

(١) تاريخ بغداد (٢/١٦٢-١٦٨)، سير النبلاء (١٤/١٦٧-٢٨٢).

- وهنّاد بن السري.
- والحسن بن الصباح البزار وغيرهم.

تلاميذه:

- منهم عبد الله بن الحسن الحراني ـ وهو أكبر منه.
- وأبو القاسم الطبراني
- وأبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان وغيرهم.

مؤلفاته:

١- التفسير.

٢- التاريخ.

٣- اختلاف علماء الأمصار.

٤- لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام.

٥- القراءات والتنزيل والعدد.

٦- التبصير في أصول الدين.

٧- تهذيب الآثار ـ ولم يكمله.

٨- تاريخ الرجال ـ وهو غير كتاب التاريخ.

٩- شرح السنة.

١٠- المحاضر والسجلات.

١١- ترتيب العلماء.

١٢- المسند.

١٣- الفضائل - ولم يتمه.

وفاته: توفي عشية يوم الأحد، ليومين بقيا من شوال، سنة عشر وثلاثمائة ٢٨/١٠/٣١٠هـ ودفن بداره ببغداد برحبة يعقوب، ورثاه ابن دريد، وسعيد بن الأعرابي وخلق من العلماء والأدباء وغيرهم.

* * *

الألف

إبراهيم عليه السلام

هو نبي الله وخليله، أبو إسماعيل، وجدّ نبينا محمد ﷺ.

الحنيفية ملة إبراهيم:

ملة إبراهيم ـ الحنيفية ـ: هي الحق الذي ارتضاه الله من خلقه دينًا، وابتعث به أنبياءه، وهو الاستقامة على الإسلام وشرائعه ـ دون اليهودية والنصرانية والمُشْركة[1].

فإن قيل: أوَ ما كان مَنْ كان مِنْ قبل إبراهيم ﷺ من الأنبياء وأتباعهم مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامة إبراهيم وأتباعه؟

قيل: بلى!

فإن قال: فكيف أضيفت (الحنيفية) إلى إبراهيم وأتباعه على ملته خاصة دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم؟

قيل: إنّ كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متبعًا طاعة الله، ولكن الله ـ تعالى ـ لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة،

(١) ينظر: جامع البيان (٧/١٧).

كالذي فَعل من ذلك بإبراهيم فجعله إمامًا فيما بيّنه من مناسك الحج والختان، وغير ذلك من شرائع الإسلام، تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة. وجعل ما سن من ذلك عَلَمًا مميزًا بين مؤمني عباده وكفارهم، والمطيع منهم والعاصي. فسمي الحنيف من الناس (حنيفًا) باتباعه ملته، واستقامته على هديه ومنهاجه، وسُمّي الضال عن ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: (يهودي، ونصراني، ومجوسي) وغير ذلك من صنوف الملل[(١)].

طلبه رؤية إحياء الموتى:

رأى إبراهيم عليه السلام حوتًا بعضه في البر وبعضه في البحر، قد تعاوره دواب البر ودواب البحر وطير الهواء، فألقى الشيطان في نفسه فقال: متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء؟ فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، ليعاين ذلك عيانًا، فلا يقدر الشيطان بعد ذلك أن يلقي في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك، فقال له ربه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾[(٢)] يقول: أو لم تصدق يإبراهيم بأني على ذلك قادر؟ قال: بلى يا رب، لكن سألتك أن تريني ذلك، ليطمئن قلبي، فلا يقدر الشيطان أن يلقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت.

ومعنى يطمئن: يسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه[(٣)].

إبراهيم والكوكب والقمر والشمس:

تأوّل أقوام قول إبراهيم عليه السلام للكوكب والقمر والشمس ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[(٤)] بتأويلات متعددة، فيها تكلف واعتساف، وفي خبر الله عنه حينما أفل القمر:

---

(١) ينظر: جامع البيان (٣/١٠٨).
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.
(٣) ينظر: جامع البيان (٥/٤٩١-٤٩٢).
(٤) سورة الأنعام: الآية (٧٦، ٧٧، ٧٨).

﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[1] الدليل على خطأ هذه التأويلات، وأن الصواب من القول في ذلك الإقرار بِخبر الله ـ تعالى ـ الذي أخبر به عنه، والإعراض عما عداه[2].

أثر قدم إبراهيم في الحجر:

من العلامات البينات ـ في بيت الله الذي ببكة ـ من قدرة الله وآثار خليله إبراهيم.. من تلك العلامات: أثر قدم خليله إبراهيم ﷺ في الحجر الذي قام عليه، وهو المقام المعروف بـ(مقام إبراهيم)[3].

* * *

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٧.
(٢) ينظر: جامع البيان (١١/٤٨٣-٤٨٥).
(٣) السابق: (٧/٢٨-٢٩).

إبليس والشيطان

إبليس: (إفعِيل) من الإبلاس، وهو الإياس من الخير، والندم والحزن، وكان ـ فيما ذكره السدي ـ اسمه (الحارث). وهو الذي أُمِر بالسجود لآدم فعصى[١].

والشيطان: كلُّ متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء.. وسمي كل متمرد شيطانًا، لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله، وبُعْدِه عن الخير، وقيل: إنه أخذ من قول القائل: شَطَنَت داري من دارك ـ يريد بذلك: بَعُدَت[٢].

هل إبليس من الملائكة:

تعددت الأقوال في ذلك: وظاهر قوله ﷻ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾[٣] يدل على أنه من الجن المعروفين في الاصطلاح الشرعي، إلا أنه لم يرد ـ فيما أعلم ـ نفي لكونه من الملائكة، وابن جرير لا يجزم في ذلك بشيء وإن كان مجمل كلامه يدل على أنه لا يخرجه منهم، ولو كان مختلفًا عنهم في مادة الخلق، وكونه ذا نسلٍ وذرية، وصاحب شهوة ولذة، وأما خبر الله ـ تعالى ـ عنه: أنه من الجن فيمكن أن يحمل على المعنى اللغوي لذلك، وهو الاجتنان عن أبصار بني آدم[٤].

طريقة لقاء إبليس بآدم في الجنة:

يؤخذ من نصوص الكتاب العزيز أن إبليس قد باشر خطاب آدم وحواء بنفسه، إما ظاهرًا لأعينهما وإما مُسْتَجِنًا في غيره.

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/٥٠٩-٥١١).
(٢) السابق: (١/١١١-١١٢).
(٣) سورة الكهف: الآية ٥٠.
(٤) ينظر: جامع البيان (١/٥٠٨).

أما سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها، وطرده عنها، فإن ابن جرير يرجح ما قاله المتأوِّلون من أن إبليس دخل الجنة عن طريق الحية، حيث دخل في جوفها، وكانت دابة لها أربع قوائم كأنها البعير (الجمل) حتى لقي آدم وزوجه، وكلمهما وقاسمهما[١].

مس الشيطان:

ذكر الله تعالى عن آكلي الربا أنهم: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[٢] يعني بذلك: أنهم لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا مثل الذي يتخبله الشيطان[٣] في الدنيا، وهو الذي يخنقه فيصرعه من المس، وهو الجنون[٤].

إنظار إبليس:

طلب إبليس من الرب عز وجل إنظاره وإبقاءه حيًا[٥] إلى يوم يبعث فيه الخلق، وهذه إحدى جهالاته الخبيثة، حيث قد عُلم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه؛ لأنه لو أعطي أحد ذلك من النَّظِرة لكان قد أعطي الخلودَ والبقاء الذي لافناءَ معه.

ومع ذلك فقد أعطاه الله المهلة والنَّظِرة إلى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء[٦]، لأنه لا شيء يبقى فلا يفنى، غير ربنا الحي الذي لا يموت

(١) السابق (١/٥٢٥-٥٣٢).
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.
(٣) يتخبلهم الشيطان: يفسد عقولهم وأعضاءهم. [تعليق محمود شاكر (٦/ ٨)].
(٤) جامع البيان (٦/٨).
(٥) الإنظار: في كلام العرب: التأخير. السابق (١٢/ ٣٣١).
(٦) الإنظار إلى يوم يبعثون، حدده الله تعالى في آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ سورة الحجر الآية: ٣٧-٣٨ وسورة ص الآية ٨٠-٨١.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[١].

فإن قيل: فهل أحد منظر إلى ذلك اليوم سوى إبليس؟ فيقال له: إنك منهم؟ قيل: نعم، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم، ممن تقوم عليه الساعة، فهم من المنظرين بآجالهم إليه، ولذلك قيل لإبليس: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[٢] بمعنى إنك ممن لا يميته الله إلا ذلك اليوم[٣].

مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال والأولاد:

كل ولدٍ ولدته امرأة عُصي الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يُعصى الله بها بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من وُلد ذلك المولود له أو منه[٤].

إلقاء الشيطان في أمنية الرسول أو النبي:

لم يرسل الله من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم، فيُذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله، ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه[٥].

* * *

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٥.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥.
(٣) ينظر: جامع البيان (١٢/ ٣٣٠-٣٣٢).
(٤) جامع البيان: ط. الحلبي (١٥/ ١٢١).
(٥) السابق: (١٧/ ١٩٠).

الإسراء والمعراج

قال ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر خلاف الناس في طبيعة الإسراء بالروح أم بالجسد: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: لقد أسرى الله بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هناك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات.

ولا معنى لقول من قال: أسري بروحه دون جسده. لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلًا على نبوته، ولا حُجَّة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن مُنْكَرًا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم: أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟

وبعد: فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده! وليس جائزًا لأحد أن يتعدى على ما قاله الله إلى غيره. فإن ظن ظانٌّ أن ذلك جائز، إذا كانت العرب تفعل ذلك في كلامها كما قال قائلهم:

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتي عَنَاقا ... وَمَا هي - وَيَبْ - غيرِكِ بالعنَاقِ

يعني: حسبت بغام راحلتي صوت عناق، فحذف الصوت، واكتفى منه بالعناق، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهومًا مراد المتكلم منهم به من الكلام، فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلا ببيانه، فإنها لا تحذف ذلك، ولا دلالة تدل على أن مراد الله من قوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أسرى بروح عبده. بل الأدلة الواضحة، والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن

الله أسرى به على دابة يقال لها (البراق) ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام.

إلَّا أن يقول قائل: إن معنى قولنا: أسرى بروحه: رأى في المنام أنه أسري بجسده على البراق: فيُكَذب بمعنى الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ: أن جبريل حمله على البراق، لأن ذلك إذا كان منامًا على قول هذا القائل، ولم تكن الروح عنده مما تركب على الدواب، ولم يحمل على البراق جسم النبي ﷺ لم يكن النبي ﷺ على قوله ـ حُمل على البراق ـ لا جسم ولا شيء منه ـ وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيل، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين[١].

قال ـ رحمه الله ـ: إذا علم ذلك فإن رسول الله ﷺ قد استوى هو وجبريل عليه السلام حين الإسراء والمعراج بمطلع الشمس الأعلى، وهو الأفق الأعلى[٢].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (١٥/١٦-١٧).
(٢) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٧/٤٣).

الإسلام

قال: الإسلام: هو الانقياد بالتذلل والخشوع، والفعل منه: «أسلم» دخل في السلم، كما يقال: «أربع القوم» إذا دخلوا في الربيع، فكذلك «أسلموا» إذا دخلوا في السلم، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة. فإذا كان ذلك كذلك فإن الإسلام: هو الطاعة لله، وإقرار الألسُن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه، ولا انحراف عنه ودون إشراك غيره من خلقه معه في العبودة[١] والألوهة[٢].

معنى (إسلام الوجه):

قال ـ رحمه الله ـ معنى (إسلام الوجه): الانقياد لله وحده باللسان والقلب وجميع الجوارح، وتخصيص الوجه بذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾[٣]؛ لأن الوجه أكرم جوارح ابن آدم عليه، وفيه بهاؤه وتعظيمه، فإذا خضع وجهه لشيء، فقد خضع له الذي هو دونه في الكرامة عليه من جوارح بدنه[٤].

رضي الله الإسلام دينًا:

قال ـ رحمه الله ـ: لقد رضي الله ﷻ للناس الاستسلام لأمره، والانقياد لطاعته، على ما شرع لهم من حدوده وفرائضه ومعالمه، طاعة منهم له ـ سبحانه وتعالى ـ.

فإن قيل: أوَ ما كان الله راضيًا الإسلام لعباده إلا يوم أنزل ـ سبحانه ـ هذه

---

(١) كذا (العبودة والألوهة) بدون ياء، ويظهر أنها الأصح لغة.
(٢) ينظر: جامع البيان (٦/٢٧٤).
(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠.
(٤) ينظر: جامع البيان (٦/٢٨٠).

الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[١].

قيل: لم يزل الله راضيًا لخلقه الإسلام دينًا، ولكنه ـ جلَّ ثناؤه ـ لم يزل يصرف نبيه محمدًا ﷺ وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجةً بعد درجة، ومرتبةً بعد مرتبة، وحالًا بعد حال، حتى أكمل لهم شرائعه ومعالمه، وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه، ثم قال حين أنزل عليهم هذه الآية ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ﴾.

أي بالصفة التي هو بها اليوم، والحال التي أنتم عليها اليوم منه[٢].

دين السابقين ووحدته:

قال: الناس كانوا أمة واحدة، على دين واحد وملةٍ واحدة، فاختلفوا في دينهم، فبعث الله عند اختلافهم في دينهم النبيين مبشرين ومنذرين: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾[٣] رحمةً منه ـ جل ذكره ـ بخلقه، واعتذارًا منه إليهم.

هذا، وإن تحديد زمن هذا الاتفاق وزمن الاختلاف لا يضر الجهل به، كما لا ينفع العلم، إذ لم يكن العلم به لله طاعة. غير أن ذلك كان، فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمةً واحدةً، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به، للأدلة الصريحة من القرآن[٤].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.
(٢) ينظر: جامع البيان (٩/٥٢٢-٥٢٣).
(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣.
(٤) ينظر: جامع البيان (٤/٢٧٨-٢٨٠).

التسمية بـ(المسلمين):

قال ـ رحمه الله ـ: الذي سمى المسلمين باسم (المسلمين) هو الله ـ تعالى ـ وليس إبراهيم عليه السلام فلا وجه لذلك؛ لأنّه معلوم أن إبراهيم لم يسمّ أمة محمد مسلمين في القرآن، لأن القرآن أنزل من بعده بدهرٍ طويل[١].

إسلام مَنْ في السموات والأرض:

قال ـ رحمه الله ـ: لقد خشع لله من في السموات والأرض. فخضع له بالعبودة، وأقر له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية.. وقد أسلم لله طائعًا من كان إسلامه منهم له طائعًا، وذلك كالملائكة والأنبياء والمرسلين، فإنهم أسلموا لله طائعين وكذلك من كان منهم كارهًا.. والكاره هو المقر بأن الله خالقه وربه، وإنْ أشرك معه في العبادة غيره. وقيل: هو من كان حين أخذ منه الميثاق فأقرّ به[٢].

وقيل: سجود ظله، وقيل: بل هو إسلامه بقلبه في مشيئة الله، واستِقادتُه لأمره وإن أنكر أُلوهته بلسانه. وقيل: هو إسلام من أسلم من الناس كرهًا، حذر السيف على نفسه، وقيل: أهل الإيمان أسلموا طوعًا، والكافر أسلم في حال المعاينة حين لا ينفعه إسلام ـ كرهًا ـ وقيل: عبادة الخلق لله عز وجل[٣].

هذا، وإن ابن جرير لم يُرجِّح قولًا من هذه الأقوال، بل أطلقها، ثم مضى، لا يلوي على شيء منها.. ولم يورد فيها شيئًا مرفوعًا.. ولما راجعت الدر المنثور وجدت أنه نقل ثلاثة أحاديث مرفوعة الأول: عن ابن عباس عن النبي ﷺ:

(١) ينظر: جامع البيان (٤/٢٧٨-٢٨٠).
(٢) ينظر: السابق، ط. الحلبي (١٧/٢٠٨).
(٣) ينظر: السابق، ت. شاكر (٦/٥٦٥-٥٦٨).

«﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ **أما من في السموات: فالملائكة، وأما من في الأرض: فمن وُلد على الإسلام، وأما كرها: فمن أتى به من سبايا الأمم في السلاسل والأغلال، يُقادون إلى الجنة وهم كارهون**» رواه الطبراني بسند ضعيف. وأخرج الديلمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ قال: «**الملائكة أطاعوه في السماء، والأنصار وعبد القيس أطاعوه في الأرض**». وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ساء خلقه من الرقيق والدواب والصبيان فاقرؤوا في أذنه:** ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾»(١).

قلت: معلوم أن جميع المخلوقات ما عدا الثقلين تؤدي الوظائف التي خلقت من أجلها، من الأحياء والجمادات فهي لا تملك حريةً ولا عقولًا حتى يمكنها العصيان..

أما الثقلان فلحياتهم جانبان: جانب إرادي، وجانب غير إرادي، ومن هذا الأخير هم مسلمون لله كرهًا إذا كانوا غير مسلمين في الجانب الأول.. فنواميس الحياة الدنيا تجري عليهم، دون أن يملكوا قدرة على الخلاص منها، الجن بحسبهم، والإنس بحسبهم ـ كذلك، والذين أسلموا لله في جانب حياتهم الاختياري هم قد أسلموا طوعًا وهؤلاء غير المسلمين في هذا الجانب هم مسلمون كرهًا في الجانب غير الإرادي.. أما الملائكة فمسخرون لأمر الله دائمًا..

الإسلام والإيمان وما الفرق بينهما:

قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن الزهري [الإسلام الكلمة والإيمان العمل]، وهو أن الله تقدم إلى الأعراب

(١) الدر المنثور للسيوطي (٢/ ٤٨).

الذين دخلوا في الملة إقرارًا منهم بالقول، ولم يُحققوا قولهم بعملهم، أن يقولوا بالإطلاق (آمنًا) دون تقييد قولهم بذلك، بأن يقولوا: آمنا بالله ورسوله، ولكن أمرهم أن يقولوا القول الذي لا يُشكل على سامعيه، والذي قائله فيه محق، وهو أن يقولوا: أسلمنا، بمعنى. دخلنا في الملة والأموال، والشهادة الحق، ولمّا يدخل العلم بشرائع الإيمان وحقائق معانيه في قلوبكم[1].

* * *

(١) يُنظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٦/١٤٢-١٤٣).

الأسماء والصفات

الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، أحد أقسام التوحيد الرئيسة، وهو الذي تعددت فيه مذاهب الفرق الإسلامية وتنوعت مقولاتهم. وذلك بعد عصر السلف، الذي يُحدَّد ـ بالتقريب ـ بزمن الصحابة والتابعين.

أسماء الله الحسنى:

قال: الله: ومعناه الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق[1].

الرحمن الرحيم: (الرحمن) فهو فَعلان من رَحم، و(الرحيم) فَعِيل منه...، ثم قال: فإن قيل: إذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة، فما وجه تكرير ذلك؟ قيل له: بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها. فإن قال: وما المعنى الذي انفردت به كل منهما؟ قيل: من جهة العربية فلا مانع من ذلك، ومن جهة الأخبار فقد فرَّقت ما بين تسمية الله ـ تعالى ـ باسمه الذي هو (رحمن) وتسميته باسمه الذي هو (رحيم) واختلاف معنيي الكلمتين ـ وإن اختلفا في معنى ذلك الفرق ـ دَّل أحدها على أن ذلك في الدنيا، ودَّل الآخر على أنه في الآخرة[2] حيث فسر ذلك العرزَمي[3] بقوله: (الرحمن) بجميع الخلق، الرحيم بالمؤمنين، وفي حديث مرفوع أن الرسول ﷺ قال: **«إن عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الآخرة والدنيا، والرحيم رحيم الآخرة»**[4].

---

(١) جامع البيان (١/١٢٢).
(٢) ينظر: السابق (١/١٢٦-١٢٧).
(٣) هو محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العزرمي. وهو ابن أخي عبد الملك بن أبي سليمان. جزء الضعفاء والمتروكين للدارقطني، تحقيق محمد عبدالرحيم القشقري، ترجمة رقم ٤٥٠.
(٤) وإسناده ضعيف ـ كما نقله الشيخ شاكر عن بعض الأئمة، وتقديم الإمام ابن جرير الأثر على الحديث يدل على ذلك.

وهذان الخبران قد فرَّقا بين معنيين الاسمين، فدلَّ أحدهما على أن ذلك في الدنيا، ودل الآخر على أنه في الآخرة. فإن قيل: فأي هذين التأويلين أولى بالصحة؟ قيل: لجميعهما في الصِّحة مخرج، فتسمية الله بـ(الرحمن) هو أنه موصوف بعموم الرحمة جميعَ خلقه، وتسميته بـ (الرحيم) أنه موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه، إما في كل الأحوال، وإما في بعض الأحوال.

فربنا ـ جلَّ ثناؤه ـ رحمن جميع خلقه في الدنيا والآخرة، ورحيم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة.

وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف (الرحمن) ولم يكن ذلك في لغتها، وهذا مردود، حيث إن المشركين جحدوا ذلك ـ وإن كانوا يعلمونه، ثم إنه معروف في كلامهم كقول أحد الجاهليين:

ألا ضَرَبَتْ تِلْكَ الفَتَاةُ هَجِينَهَا ألا قَضَب الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا

وقول سلامة السّعْدي:

عَجِلْتُمْ علينا عَجْلَتَيْنَا عَلَيكُم وَمَا يَشَإِ الرَّحْمَنُ يعقِد وَيُطلِقِ

وقد أجمعت الأمة على منع التسمي بـ (الرحمن) جميع الناس[1].

بديع السموات والأرض:

قال: بديع: أصله (مفعل) صرف إلى (فعيل) ومعنى (المبدع): المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد[2].

---

(١) السابق: (١/١٢٦-١٣٤).
(٢) السابق: (٢/٥٤٠).

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير:

قال: (ليس كمثله شيء) فيها وجهان، أحدهما: أن يكون معناه: ليس هو كشيء، وأدخل المثل في الكلام توكيدًا للكلام. إذا اختلف اللفظ به وبالكاف وهما بمعنى واحدٍ والوجه الثاني: أن يكون معناه: ليس مثله شيء، وتكون الكاف هو المُدْخَلة في الكلام[١].

السميع البصير:

قال: وصف الله ـ جلَّ ثناؤه ـ نفسه، بما هو به، وهو يعني نفسه، بأنه (السميع البصير) أي السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو لجميعها مبصر ولا يعزب عنه علم شيء منه وهو محيط بجميعه، محص صغيره وكبيره[٢].

الحي القيوم:

قال: ومن أسمائه ـ تعالى ـ (الحيُّ) وفيه وصف له ـ تعالى ـ بالبقاء ونفي الموت، فهو ذو الحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع، وهو ـ تعالى ـ متنزه عن ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله.

و(القيوم) هو القيم بحفظ كل شيء ورزقه وتدبيره، وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل، وزيادة ونقص[٣].

له ـ تعالى ـ الأسماء الحسنى:

قال: ومن أسمائه ـ تعالى ـ (الرقيب) وهو الحفيظ، الذي يحصي أعمال خلقه،

---

(١) السابق، ط. الحلبي (٢٥/١٢-١٣).
(٢) السابق (٢٥/١٣)، ت. شاكر (١٥/٤٩٩).
(٣) السابق: ت. شاكر (٦/١٥٦-١٥٧).

ويتفقدها[١] و(**الحسيب**) وهو الكافي[٢] و(**الشهيد**) وهو الشاهد على ما يفعله خلقه، حافظ مُرَاعٍ لها[٣]. و(**الولي**) هو الذي يلي أمور عباده بالحياطة والحراسة[٤] و(**الشاكر**) الذي يجزل الثواب، ويُعْظِم العوض[٥] وهو ـ تعالى.

(**عالم الغيب والشهادة**) (الملك) الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلا دونه.

قال: (**القدوس**) أي المبارك (**السلام**) أي الذي يَسْلم خلقه من ظلمه (**المؤمن**) الذي يؤّمن خلقه من ظلمه[٦] (**المهيمن**) أي المصدق والشهيد والحافظ[٧].

قال: (**العزيز**) أي الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه (**الجبار**) أي المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم (**المتكبر**) أي المتكبر عن كل شر (**الخالق**) الذي لا خالق سواه (**الباري**) الذي برأ الخلق فأوجدهم بقدرته (**المصور**) الذي صور خلقه كيف شاء، وكيف يشاء[٨].

قال: هذه، بعض أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى، وبعض معانيها، وكأنّ ابن جرير يرى أن الأسماء الحسنى التي جاء بها القرآن مقصورة على ما ذكره الله ـ تعالى ـ في الآيتين من آخر سورة الحشر وهي (الملك)، (القدوس)، (السلام)، (المؤمن)، (المهيمن)، (العزيز)، (الجبار)، (المتكبر)، (الخالق)، (البارئ)، (المصور)، (العزيز)،

---

(١) السابق: (٧/٥٢٣).
(٢) السابق: (٧/٥٢٣).
(٣) السابق: (٨/٢٨٩).
(٤) السابق: (٨/٤٢٩).
(٥) السابق: (٩/٣٤٣).
(٦) السابق: ط. الحلبي (٢٨/٥٤).
(٧) السابق تـ. شاكر (١٠/٣٧٧).
(٨) السابق: ط. الحلبي (٢٨/٥٥-٥٦).

(الحكيم)، حيث يقول ابن جرير: لله ـ تعالى ـ الأسماء الحسنى، وهي هذه الأسماء التي سمى الله بها نفسه، التي ذكرها في هاتين الآيتين...![1].

هذه مع أنه قد رَوَى حديث: «**إن لله تسعة وتسعين أسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها كلها دخل الجنة**»[2]، ولم يُفَصّل في أي من المواضع تلك المسألة، التي يحسن منه أن يفصلها بما وهبه الله من الإمكانات النقلية والعقلية، وعلى الأقل الإشارة إلى الرواية التي فيها تعيين الأسماء، ولا أظنها تخفى عليه، كيف وقد رواها الترمذي في جامعه؟[3].

صفة العلو:

قال: وصف الله ـ تعالى ـ نفسه بأنه (العلي)[4] و(العلي): (الفعيل) من قولهم: (علا يعلو علوًا) إذا ارتفع، فهو عال وعَلِيٌّ، و(العلي): ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته![5].

فهذا تحديد من ابن جرير لمعنى (العلو) بأنه علو القدرة. ولم يظهر لي السبب الذي من أجله قصر معنى العلو على بعض معانيه، وهو (علو القهر) فأين (علو القدر) و(علو الذات)؟

صفة اليدين:

قال: لقد أخبر الله ـ تعالى ـ عن خلقه لآدم عليه السلام أنه ـ سبحانه ـ خلق آدم

---

(١) السابق: (٢٨/٥٦).

(٢) وإسناده صحيح، وهو عند أحمد والبخاري ومسلم كما ذكر ذلك العلامة محمود شاكر. السابق ت. شاكر (١٣/٢٨٢).

(٣) سنن الترمذي [٥/٥٣١ (٣٥٠٧)] ط١، الحلبي ١٣٨٥هـ وقد أحسن الحافظ ابن حجر عندما فصل القول في ذلك في الفتح [١١/٢١٤-٢٢٨ (٦٤١٠)].

(٤) سورة البقرة، آية الكرسي: ٢٥٥.

(٥) جامع البيان: (٥/٤٠٥) و (٨/٣١٨).

بيديه، حيث قال ـ جلَّ ذكره ـ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[(١)] وقد روى ابن جرير بإسناده عن ابن عمر قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعَدْن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء كن فكان[(٢)].

صفة الأصابع:

نقل الإمام الذهبي عن ابن جرير قوله في كتابه (التبصير في معالم الدين): القول فيما أُدْرِك علمه من الصفات خبرا،... وقال ﷺ: «**ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن**»[(٣)].

المعيَّة:

قال: يقول ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(٤)] أي والله معين الصابرين وناصرهم[(٥)].

والله ـ سبحانه ـ يكون مع خلقه بسمعه لسرهم ونجواهم، ومعهم بمشاهدته لهم بعلمه وهو على عرشه[(٦)].

صفة المحبة:

قال ـ رحمه الله ـ: الله ﷻ ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يوده ويحبه[(٧)] كما قال ﷻ: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾[(٨)].

---

(١) سورة ص: الآية ٧٥.
(٢) ينظر: جامع البيان (٢٣/١٨٥)، وسير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/٢٨٠)، والحديث عند أحمد في المسند(١٧٦٦٧)، ومسلم (٢٦٥٤).
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.
(٥) ينظر: جامع البيان (٥/٣٥٣) و (١٠/١١٨) و (١٤/٢٤٢).
(٦) ينظر: السابق ط. الحلبي (٢٨/١٢).
(٧) ينظر: السابق ت. شاكر (١٥/٤٥٦).
(٨) سورة هود: الآية ٩٠.

والله ـ سبحانه ـ يحب من أحسن بالعفو والصفح إلى من أساء إليه[١] قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢].

وهو ﷻ يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها[٣]، كما يقول ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٤].

صفة الرحمة والرأفة:

قال: لا شك أن ذا الرحمة هو الذي ثبت أن له الرحمة، وصح أنها له صفة، فالرحمة من صفاته ـ جل ذكره ـ[٥].

قال: و(الرأفة): أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة[٦].

الله التواب:

قال: هو ـ سبحانه ـ التواب على من تاب إليه ـ من عباده المذنبين ـ من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه، فتوبة الله على عبده أن يرزقه التوبة، ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه[٧].

---

(١) ينظر: السابق (١٠/١٣٤).
(٢) سورة المائدة: الآية ١٣.
(٣) ينظر: جامع البيان (١٠/٥٧٦).
(٤) سورة المائدة: ٩٣.
(٥) ينظر: السابق (١/١٣٢-١٣٣).
(٦) ينظر: السابق (٣/١٧١).
(٧) ينظر: السابق (١/٥٤٧-٥٤٨).

صفة الاستواء:

قال: وأولى المعاني في (استواء الله إلى السماء) أنه ـ سبحانه ـ علا عليهن وارتفع فدبّرهُن بقدرته وخلقهن سبع سموات[١].

وقد انتقد الإمام ابن جرير من يحاول تكلف تأويلات لهذا الاستواء إلى السماء، وهو يرى أن تفسير هذا الاستواء هو أن الله ـ سبحانه ـ علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال[٢].

أما الاستواء على العرش فإن الله ـ تعالى ـ قد استوى على عرشه، بالمعاني التي عرفت من لغة العرب للاستواء، وهو ـ تعالى ـ يدبر الأمور ويقضي في خلقه بما أراد[٣].

الاستهزاء والمكر، والخديعة والسخرية:

الاستهزاء من الأفعال التي نسبها الله إليه ﷻ في كتابه، وقد تهرب من إثباته قوم، فنفوا حقيقة الفعل ووجهوه توجيهات مجازية، فيقال لهم: إنكم نفيتم عن الله ﷻ ما أثبته لنفسه، وأوجبه لها، لأنه سواء قال قائل: لم يكن من الله ـ تعالى ـ استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخرية بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال: لم يخسف الله بمن أخبر أنه خسف به من الأمم، ولم يغرق من أخبر أنه أغرق منهم.

ويقال لقائل ذلك: إن الله ـ جل ثناؤه ـ أخبرنا أنه مكر بقوم مضَوْا قبلنا لم نَرَهم وأخبر عن آخرين أنه أغرقهم، فَصَدَّقْنا الله ـ تعالى ـ فيما أخبر به من ذلك،

---

(١) ينظر: السابق (١/ ٤٣٠).
(٢) الموضع السابق. وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٠).
(٣) ينظر: السابق (١٥/ ١٨).

وخسف بمن أخبر أنه أغرقه وخسف به، ولم يمكر بمن أخبر أنه مكر به؟ ثم نعكس عليه القول في ذلك فلن يقول في أحدهما شيئًا إلا لزم في الآخر مثله.

فإن لجأ إلى أن يقول: إن الاستهزاء عبث ولعب، وذلك عن الله ﷻ منفي!

قيل له: إن كان الأمر عندك على ما وصفتَ من معنى الاستهزاء، أفلست تقول: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾، و«مكر الله بهم» وإن لم يكن من الله عندك هزء ولا سخرية؟

فإن قال: (لا) كذّب بالقرآن، وخرج عن ملة الإسلام.

وإن قال: (بلى) قيل له: أفتقول من الوجه الذي قلت: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾، «يلعب الله بهم» و«يعبث» ولا لعب من الله ولا عبث؟

فإن قال: (نعم)! وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه، وعلى تخطئة واصفه به، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه.

وإن قال: لا أقول «يلعب الله بهم» ولا «يعبث»، وقد أقول: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، و﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

قيل: فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث، والهزء والسخرية، والمكر والخديعة. ومن الوجه الذي جازَ قيلُ[1] هذا، ولم يَجُزْ قِيلُ هذا، افترق معنياهما، فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر[2].

صفة الغضب:

أورد ابن جرير ثلاثة أقوال في صفة الغضب، ومع أنه لم يصرح باختياره

---

(١) قِيلُ: بمعنى قول. في هذا الموضع والذي يليه.
(٢) ينظر: جامع البيان (١/٣٠٥-٣٠٦).

لأحدها إلا أن تفصيله في القول الأخير منها يدل على تبنيه له، وهو الذي يتسق مع وجهته العامة في عقيدته، حيث قال: الغضب منه (أي من الله تعالى) معنى مفهوم، كالذي يعرف من معاني الغضب (أي في اللغة العربية) غير أنه ـ وإن كان كذلك من جهة الإثبات ـ فمخالف معناه منه معنى ما يكون من غضب الآدميين، الذين يزعجهم ويحركهم ويشق عليهم ويؤذيهم، لأن الله ـ سبحانه ـ لا تحل ذاته الآفات، ولكنه له صفة، كما العلم له صفة، والقدرة له صفة، على ما يُعقل من جهة الإثبات، وإن خالفت معاني ذلك معاني علوم العباد، التي هي معارف القلوب، وقواهم التي توجد مع وجود الأفعال، وتعدم مع عدمها[1] هذا وإن ابن جرير في تفسيره لصفة الغضب لم يصرح بترجيح ما يختار، ويبدو أن السبب هو اعتماده على فطنة من يطلع على رأيه في أن يعرف اتجاهه من خلال طريقة عرضه.

صفة الإتيان والمجيء:

وما قيل في صفة الغضب يقال في الصفات الفعلية الأخرى، كصفة الإتيان والمجيء والرضا، والضحك، والنزول وغيرها.

الموقف من التأويل:

التأويل المراد هنا هو المقصود في اصطلاح الباحثين في العقائد وهو: صرف معنى اللفظ من المعنى الراجح إلى الاحتمال المرجوح.

ورأي ابن جرير في ذلك نجده صريحًا في تعليقه على تفسير عبيد الله ابن أبي جعفر(*) للجلود المذكورة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾[2]

---

(١) ينظر: السابق (١/١٨٨-١٨٩).

(*) هو: عبيد الله بن أبي جعفر المصيري، أبو بكر الفقيهة، مولى بني كنانة، ويقال مولى بني أمية، ولد سنة ٦٠هـ ومات سنة ١٣٦هـ تهذيب التهذيب (٧/٥-٦).

(٢) سورة فصلت: الآية ٢٠.

حيث فسر الجلود: بالفروج. حيث عقب عليه ابن جرير قائلًا: وهذا القول وإن كان معنى يحمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى (الجلود) ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها[١].

ويقول الإمام الذهبي: وهذا تفسير هذا الإمام مشحون في آيات الصفات بأقوال السلف على الإثبات لها، لا على النفي والتأويل، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين أبدا[٢].

وقد قال الذهبي ذلك، بعد نقله لأسطر من كتاب ابن جرير (التبصير في معالم الدين) حيث قال ابن جرير ـ بعد ذكره لصفة السمع والبصر واليدين والوجه والضحك والنزول والأصابع ـ قال: فإن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها، مما وصف الله نفسه ورسوله، ما لا يَثْبُت حقيقةُ علمه بالفكر والروية.. لا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهائها إليه[٣].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٠٦/٢٤).
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٠/١٤).
(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٠/١٤).

الإلحاد

أصل (الإلحاد) في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض. ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم، ولذلك قيل لِلَحْدِ القبر (لحد)؛ لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه. وقد فرق الكسائي[*] بين (يُلْحدون) بضم الياء وكسر الحاء، وبين (يَلْحَدون) بفتح الياء والحاء، ولكن سائر أهل المعرفة بكلام العرب يرون معناهما واحد، وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنى واحد[1].

الإلحاد في آيات الله:

فاللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلًا عن آيات الله، وعدولًا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاءً وتصديةً، ويكون مفارقة لها وعنادًا، ويكون تحريفًا لها وتغييرًا لمعانيها، هذا هو أولى تفسير بالصواب[2] لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾[3].

الرسل والقضاء على الإلحاد:

قال: ولقد أرسل الله رسله إلى عباده مبشرين ومنذرين؛ لئلا يحتج من كفر بالله وعبد الأنداد من دونه أو ضل عن سبيله، حيث قطع الله بذلك حجة كل مبطل، يريد أن يُلحد في توحيده، أو يخالف أمره، بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، إعذارًا منه بذلك إليهم؛ لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه[4].

(*) هو: أبو الحسن علي بن حمزة بن فيروز، الأسدي بالولاء الكوفي، المعروف بالكسائي، أحد القراء السبعة، كان إمامًا في القراءات والنحو واللغة، تولى تأديب الأمين بن الرشيد، وتوفي سنة ١٨٣هـ ودفن بالري، ويقال: إن الرشيد قال: دفنت الفقه والعربية بالري. وفيات الأعيان (٣/٢٩٥).

(١) ينظر: جامع البيان (١٣/٢٨٣-٢٨٤).

(٢) ينظر: جامع البيان ط. الحلبي (٢٤/١٢٤).

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٠.

(٤) ينظر: جامع البيان (٩/٤٠٨).

الإنسان

قال: خلق الله جميع الأنام من شخص واحد، وابتدأ إنشاءهم من نفس واحدة، وهم جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وبعضهم من بعضهم، وحق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وهذا يُلزمهم رعاية بعضهم حق بعض، وإن بعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى[(١)]، وقد عطف الله بذلك بعضهم على بعض، ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له[(٢)].

آدم وحواء والشجرة:

قال: لقد نهى اللهُ آدمَ وزوجتَه عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة، دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلًا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة، فأنى يأتي ذلك؟ وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم، إذا عُلم لم ينفع العالم عَلمُه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به[(٣)].

خلافة الإنسان في الأرض:

استخلف الله الإنسان في الأرض للحكم بين خلق الله، والإنسان هو آدم عليه السلام ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، أما ما يحصل من

---

(١) تُرى؟ أي شعور إنساني يضاهي هذه المشاعر الإنسانية العميقة المتأصلة، كتلك التي سكبها القرآن في نفس هذا الإمام الكبير فصاغها تلك الصياغة الإيمانية العلمية الجزلة المؤثرة.

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/٥١٣-٥١٤).

(٣) ينظر: السابق (١/٥٢٠-٥٢١).

الإفساد في الأرض وسفك الدماء فمن غير خلفائه، ومن غير آدم ومن قام مقامه في عباد الله.

وقد أخبر ابن مسعود، وابن عباس أن الله ـ سبحانه ـ قال لملائكته «إذْ سألوه: ما ذاك الخليفة؟» إنه خليفة يكون له ذرية يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضًا، فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذرية خليفته دونه، وأخرج منه خليفته.

والخلفية: الفعلية، من قولك: خلف فلان فلانا في الأمر: إذا قام مقامه فيه بعده، من ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة، لأنه خلف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه[١].

الإنسان والأمانة:

حمل الإنسان الأمانة التي تشمل جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، كيما يعذب الله المنافقين فيها، الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله، مؤمنين بها، وهم مستسرون الكفر بها، والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان[٢].

هل خلق الإنسان للرحمة أو للاختلاف؟

في مجال البحث في غايات خلق الإنسان وإيجاده، وضمن مدلولات قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٣] الآية، وطلبا لتحديد مرجع اسم الإشارة (ذلك) تعددت اتجاهات المفسرين في تفسير

(١) ينظر: جامع البيان (١/٤٥٢).
(٢) ينظر: السابق، ط. الحلبي (٢٢/٥٧-٨٠).
(٣) سورة هود: الآية ١١٨-١١٩.

الاختلاف وهدف الخلق، فاختار ابن جرير: أن معنى الاختلاف: أن الناس لا يزالون مختلفين في أديانهم وأهوائهم، على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فآمن بالله، وصدق رسله، فإنهم يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم به من عند الله.

وبالنسبة لغاية الخلق، فقال بعضهم: إنهم خلقوا للاختلاف، وروى ذلك عن الحسن، وابن عباس[١]، وعطاء، والأعمش، ومالك ـ رحمهم الله ـ.

وقال آخرون: بل للرحمة خلقهم، وروي ذلك عن مجاهد، وقتادة، والضحاك، وعكرمة، وابن عباس[٢] ـ أيضًا.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب، قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم؛ لأن الله ـ جل ذكره ـ ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فعم بقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له.

فإن قال قائل: فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت، فقد ينبغي أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم، إذ كان لذلك خلقهم ربهم، وأن يكون المتمتعون[٣] هم الملومين؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه، وإنما معنى الكلام: ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم، إلا من رحم ربك، فهداه للحق، ولعلمه، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم، أن يكون فيهم المؤمن والكافر، والشقي والسعيد، خلقهم.

---

(١) هكذا الترتيب في الكتاب.
(٢) وهكذا الترتيب ـ أيضًا ـ.
(٣) لم يظهر لي ارتباط هذه الكلمة (المتمتعون) بالسياق، حتى الآن.

فمعنى اللام في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ بمعنى (على). كقولك للرجل: أكرمتك على بِرِكَ بي. وأكرمتك لبرك بي[(١)].

هل الإنسان يَرْزق؟

نعم قد يوصف الإنسان بالرزق فيقال: فلان يرزق أهله وعياله.. فلا مانع من وصف الإنسان بذلك، أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[(٢)] فالله خير من قيل: إنه يرزق. ووصف به[(٣)].

النفس اللوامة، والنفس المطمئنة:

أشبه القول ـ في النفس اللوامة ـ بظاهر التنزيل، أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات. وقد قيل إنها الفاجرة، وقيل إنها المذمومة[(٤)].

أما النفس المطمئنة: فهي التي اطمأنت إلى وعد الله، الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من الكرامة في الآخرة، فصدقت بذلك[(٥)].

الرجل والقلبان:

كذَّبَ الله ـ تعالى ـ قول من قال لرجل: في جوفه قلبان يعقل بهما، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجائز أن يكون ذلك تكذيبًا من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكذيبًا لمن سمى القرشي الذي ذُكر أنه سُمي (ذا القلبين) من دَهْيِه، وأي الأمرين كان، فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٥/٥٣٤-٥٣٨).
(٢) سورة سبأ: الآية ٣٩.
(٣) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٢/١٠١).
(٤) ينظر: السابق (٢٩/١٧٤-١٧٥).
(٥) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٣٠/١٩٠).

بتلك الصفة[١].

الأسماء التي علّمها الله لآدم:

قال: الأرجح بناء على المتعارف من طريقة العرب في كلامهم، أن الله - تعالى - علّم آدم أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون أسماء سائر أجناس الخلق[٢].

مما كرم الله به الإنسان:

قال: كرم الله بني آدم بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، حيث حملوا في البر على ظهور الدواب والمراكب، وفي البحر، وفي الفلك التي سخرها الله لهم[٣]. ورزقهم الله من طيبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذيذاتها، وفضلهم على كثير من الخلق، بمثل تمكينهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها، ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق[٤].

* * *

---

(١) ينظر: السابق (٢١/١١٩).
(٢) ينظر: جامع البيان (١/٤٨٥).
(٣) لو أدرك ابن جرير هذا العصر وطائراته ومركباته الفضائية، فماذا عساه قائل فيه؟!
(٤) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٥/١٢٥).

الإمامة

الإمامة: هي الولاية العامة على المسلمين، أو الرئاسة العليا لهم. أو تولي منصب الخلافة، وتسمى (الإمامة العظمى).

أولى الناس بالإمامة:

أولى الصحابة بالإمامة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم أفضل الصحابة بهذا الترتيب[(١)].

وقد نقل الذهبي في سير أعلام النبلاء: أن ابن جرير كان من رجال الكمال، وشُنع عليه بيسير تشيع... إلخ[(٢)].

قلت: لو كان الأمر كذلك لما رتب الصحابة في الفضل والإمامة بهذا الترتيب في عقيدته.

التشديد على فضل إمامة أبي بكر وعمر:

كان ابن جرير حازمًا في تقرير فضل إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويتضح ذلك من خلال ما رواه أبو الفتح ابن أبي الفوارس عن محمد بن علي بن الإمام، صاحب ابن جرير، أنه سمع ابن جرير وهو يكلم ابن صالح الأعلم، وجرى ذكر علي رضي الله عنه ثم قال ابن جرير: من قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هدى.. أيش[(٣)] هو؟ قال: مبتدع! فقال ابن جرير إنكارًا عليه: مبتدع.. مبتدع!

---

(١) ينظر: صريح السنة ٢٤.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء [١٤/٢٧٧ (١٧٥)]. إلا أن الذهبي نفى عنه هذا فقال في آخر كلامه: «ولم نر ذلك في كتبه» ا.هـ. ولعله اشتبه على من قال ذلك بمحمد بن جرير بن يتمه أبو جعفر الطبري وهو من الروافض.

(٣) أيش: أصلها أي شيء؟ فاختصرت الكلمتان، ثم أدمجتا.

هذا يقتل!(١).

عمر بن الخطاب والصحابة والإمامة:

وقد أورد ابن جرير - رحمه الله - خبر تكوين عمر ﷺ لمجلس الشورى الذي أناط به اختيار خليفته، ثم استنبط منه أن عمر كان من مذهبه أن أحق الناس بالإمامة، وأولاهم بعقد الخلافة أفضلهم دينًا، وأنه لاحقَّ للمفضول فيها مع الفاضل، ولذلك جعلها غير خارجة - من بعد مضيه لسبيله - عن النفر الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، إذ لم يكن فيمن ينسب إلى الإسلام يومئذ بعده أحد له منزلتهم من الدين، من الهجرة والسابقة والفضل والعلم، والمعرفة بسياسة الأمة، وعلى ذلك المنهاج مضى من كان قبله، وخلفه الراشدون من الأئمة بعده(٢) وكأن عمر ﷺ استنبط من النصوص الشرعية أن الإمامة حق للأفضل من أفراد الأمة، فإذا استووا في الفضل فمن تختاره الأمة من الأفضلين، ولذلك اختاره أبو بكر، لأنه الأفضل بإطلاق، وقام عمر بحصرها في ستة عند طعنه؛ لأنهم الأفضل، وهم يختارون واحدًا من بينهم.

الرد على الشيعة الإمامية، في حصر الإمامة:

وإذا كانت الإمامة للأفضل، فإنه لا يجوز حصر الإمامة بأشخاص معينين، كما تقول الشيعة الإمامية، حيث يزعمون أن الإمامة منحصرة في أعيان وأشخاص قد بُيِّنت، ووقف عليها رسول الله ﷺ أمّتَه، فلا حاجة بهم إلى التشاور فيمن تقلده أمرها، وتوليه سياستها، لبيان رسول الله ﷺ لهم أهلها المستحقين لها في كل وقت وزمان بأعيانها، فلو كان ذلك كذلك لما سلّم الصحابة بما فعله عمر

(١) ينظر السابق (١٤/٢٧٥).
(٢) ينظر: تهذيب الآثار، مسند عمر، السفر الثاني (ص:٩٢٢-٩٢٥).

من تأليف أهل الشورى، ولكان حربًا أن يقول منهم قائل: وما وجه التشاور في أمر قد كفيناه ببيان الله لنا على لسان رسول الله ﷺ؟ ففي تسليم جميعهم له ما فعل، ورضاهم بما صنع، وتركهم النكير عليه: أبين البيان، وأوضح البرهان على أن القوم لم يكن عندهم من رسول الله ﷺ في شخص بعينه عهد في ذلك الوقت، وأن الذي كان عندهم في ذلك من العهد منه إليهم، كان وقفًا على موصوف بصفات احتاجوا إلى إدراكها بالاستنباط والاجتهاد، فرضوا وسلَّموا له ما فعل. من ردِّه الأمر في ذلك إلى النفر الذين رد إليهم، إذ كانوا يومئذ هم أهل الأمانة على الدين وأهله، ومن لا يُشك في نصحه للإسلام وأسبابه، وإنما جُعل إليهم من الأمر إنما هو أمر يدرك بالاجتهاد والاستنباط، غير موقوف عليه إلا بصفته، لا باسم شخص بعينه ونسبه[1].

* * *

(١) تهذيب الآثار، مسند عمر، السفر الثاني (ص:٩٣٢).

الأنبياء عليهم السلام

أنبياء الله ورسله وخاصة نبينا محمد ﷺ لهم مقامات شرفهم الله بها، وخواص ميَّزهم بها عن غيرهم، وقد ورد لذلك إشارات متعددة في القرآن منها ما سيذكر.

أفضلية أُمّة محمد ﷺ:

لقد فضل الله أمَّة نبينا محمد ﷺ على سائر الأمم الحالية، وأخبرهم بذلك في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[(١)].

وقد كان بنو إسرائيل مفضلين على أهل زمانهم، أما في عصر نبينا رسول الله وخاتم النبيين[(٢)] لم يكونوا ـ مع تكذيبهم به ﷺ ـ أفضل العالمين، بل كان أفضل العالمين في ذلك العصر وبعده إلى قيام الساعة: المؤمنون به، المتبعون منهاجه، دون من سواهم من الأمم المكذبة الضالة عن منهاجه[(٣)].

ختم النبوة:

رسول الله محمد ﷺ هو خاتم النبيين، الذي ختم النبوة، فطبع عليها، فلا تُفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة[(٤)]، كما قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[(٥)].

* * *

(١) سورة آل عمران: ١١٠.
(٢) ينظر جامع البيان (١/١٥١).
(٣) ينظر السابق، ط. الحلبي (٢٢/١٦).
(٤) المصدر السابق.
(٥) سورة الأحزاب: ٤٠.

الباء

البدع والمبتدعون البرزخ

البدع والمبتدعون

نزل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1] الآية، في أناس من المشركين، إلا أنه مَعْنِيٌّ بها كل مبتدع في دين الله بدعة، فمال قلبه إليها، تأويلًا منه لبعض متشابه آي القرآن، ثم حاج به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آية المحكمات، إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين، وطلبًا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك، كائنًا من كان، وأي أصناف المبتدعة كان، من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية، أو كان سبئيًا[2] أو حروريًا[3] أو قدريًا[4] أو جهميًا[5] كالذي قال ﷺ: «**فإذا رأيتم الذين يجادلون به، فهم الذين عنى الله، فاحذروهم**»[6]،[7] والرسول ﷺ بريء

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) السبئية: نسبة إلى ابن السوداء اليهودي: عبد الله بن سبأ.

(٣) الحرورية: نسبة إلى حروراء بظاهر الكوفة، وهم الخوارج، وكان أول اجتماعهم بها، وتحكيمهم حين خالفوا عليا رضي الله عنه.

(٤) القدرية: نفاة القدر، وهم أتباع واصل بن عطاء وغيرهم.

(٥) الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان، وهم الجبرية.

(٦) الحديث أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، بلفظ: «سمى الله» ، وكذلك مسلم برقم (٣٦٦٥)، ورواه الترمذي (٣٩٩٢)، وأبو داود (٤٥٩٨)، وابن ماجه في المقدمة (٤٧)، ولفظ الحديث الوارد عند أحمد (٢٣٦٩٠).

(٧) ينظر: جامع البيان (٦/١٩٨).

ممن فارق دين الله الذي بعث به نبيه، من مشرك ووثني، يهودي ونصراني ومتحنف[١] مبتدع، قد ابتدع في الدين فأضل به عن الصراط المستقيم، والدين القيم، ملة إبراهيم المسلم، وأولئك بريئون منه ﷺ وهم داخلون في عموم[٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[٣].

* * *

---

(١) المتحنف: الذي يعتبر من أهل الحنيفية، وهي الإسلام.
(٢) ينظر: جامع البيان (١٢/٢٧١).
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

البرزخ

المقصود به:

الحاجز والمهلة التي يكون فيها الإنسان من حين أن يفارق الدنيا، إلى يوم البعث من القبور ـ يوم القيامة ـ[(١)].

إثبات الأحوال البرزخية:

وقد أخرج ابن جرير بإسناده، وصححه، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا في جنازة رجل من الأنصار مع النبي ﷺ فانتهينا إلى القبر، ولمّا يُلحد بَعْدُ، فجلس النبي ﷺ مستقبل القبلة، وجلسنا معه كأن على رؤوسنا الطير، فَنَكَت[(٢)] رسول الله ﷺ ما شاء الله، ثم رفع رأسه، فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بك من عذابِ القَبر**» قالها ثلاثًا.. الحديث[(٣)]، وهو حديث طويل.. قال ابن جرير: وفي ذلك الدليل الواضح على أنه لا أحد يفارق الدنيا من بني آدم، ممن بلغ حد التكليف، من مؤمن أو كافر، إلا عن علم منه بما هو صائر إليه في آخرته، من جنة أو نار، وذلك أن النبي ﷺ أخبر أن أهل الإيمان تأتيهم الملائكة، في حال نزول الموت بهم في صورةٍ مخالفةٍ الصّورَ التي تأتي بها أهل الكفر بالله، وأهل النفاق، وبحال خلاف الحالة التي تأتي بها الكفار، وفي ذلك ـ لاشك ـ للمؤمن المعرفة بحاله ومنزلته عند ربه، وللكافر اليقين بحاله عنده.

---

(١) ينظر: جامع البيان، ط الحلبي (١٨/ ٥٣).

(٢) نكت: تشاغل بعصا صغيرة أو عود يحرك به الأرض، تعبيرًا عن التركيز وإعمال الفكر واستجلاء العبرة.. ولعل هذا من أصول استخدام المسبحة عند أهل الخليج وغيرهم.

(٣) تهذيب الآثار، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه السفر الثاني: ٤٩١ (٧١٨). وهذا الحديث رواه جماعة من المحدثين كأبي داود (٣٢١٢)، وأحمد (٤/ ٢٨٧)، وهو عند البخاري ومسلم والترمذي مختصرًا، انظر: جامع الأصول [١١/ ١٧٦- ١٧٧ (٨٧٠٧)-(٨٧٠٨)].

ثم قال: وقد كان جماعة من أهل التأويل متأولين قول الله ـ تعالى ذكره ـ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[١] أنها هذه البشارة التي ذكرناها، وهي ظهور الملائكة لهم عند نزول الموت بهم، حتى يعاينوهم بالصفة التي وصفها رسول الله ﷺ في الخبر الذي رويناه عن البراء بن عازب عنه[٢].

خاصية برزخية للشهداء:

خصَّ الله الشهداء بأنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعَّمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر، ومن لذيذ مطاعمها، الذي لم يُطعمها الله أحدًا غيرهم في برزخه قبل بعثه، فذلك هو الفضيلة التي فضلهم الله بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفادَ المؤمنين بالخبر عنهم، فقال ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣].

عذاب القبر:

أخبر الله ـ تعالى ـ عن قوم فرعون، الذين أهلكهم الله وأغرقهم، أنهم يُعرضون على النار غدوًا وعشيًا، قبل يوم القيامة: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٤]، فقد جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تُعرض على النار كل يوم مرتين، إلى أن تقوم الساعة.

أو إنهم يعرضون على منازلهم في النار، تعذيبًا لهم غدوًا وعشيًا، ولا خبر يوجب الحجة، بأن ذلك المعنيُ به، فليس في ذلك إلا ما دل عليه ظاهر القرآن[٥].

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٤.
(٢) يُنظر: تهذيب الآثار، مسند عمر بن الخطاب، السفر الثاني (ص:٦٠٣-٦٠٤).
(٣) سورة آل عمران: الآيات ١٦٩-١٧٠.
(٤) سورة غافر: الآية ٤٦.
(٥) انظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٤/٧١-٧٢).

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ أن للذين ظلمو أنفسهم بكفرهم به عذابًا دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[١].

وعذاب القبر دون يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم دون يوم القيامة، ولم يخصص الله نوعًا من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع، بل عمّ. فكل ذلك لهم عذاب، وذلك لهم دون يوم القيامة[٢].

تلاقي أرواح الأحياء وأرواح الأموات:

أورد ابن جرير هذا المعنى بصيغة التعريض (ذُكر)، ولكنه لم يعقب بما يفيد موقفه من ذلك، حيث قال: ذُكِر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء، حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى، وذلك إلى انقضاء مدة حياتها[٣].

ثم أورد روايتين عن سعيد بن جبير، وعن السدي، ومعلوم أن هذا ـ أعني تلاقي أرواح الأحياء والأموات وتعارفها ـ أمر غيبي، ولا خبر عن الغيب ينبغي التسليم له سوى خبر المعصوم ﷺ الصحيح، ولم يورد ابن جرير من ذلك شيئًا.. ومنهجه معروف في ذلك، ويصرح به كثيرًا.. وهو طلب الحجة ـ في أمور الغيب ـ التي تقطع العذر.

---

(١) سورة الطور: الآية ٤٧.
(٢) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٧/٣٧).
(٣) ينظر: السابق (٢٤/٨-٩).

التاء

التقوى	التقية	تكليف ما لا يطاق	التوراة
التوبة	التوفيق والخذلان	التوكل	

التقوى

هي اتقاء الله ـ تعالى ـ في ركوب ما نهى عن ركوبه، بتجنب معاصيه، واتقائه في أوامره وفرائضه، بطاعته بأدائها.

وإذا أطلقت فليس لأحد من الناس أن يحصر معنى ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها، إما من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ.

ومن فسر التقوى بالبراءة من الشرك والبراءة من النفاق، فقد أخطأ، لأن إنسانًا قد يكون كذلك، وهو فاسق، غير مستحق أن يكون من المتقين.

إلا أن يكون معنى النفاق عند من فسرها بذلك: ركوب الفواحش التي حرمها الله، وتضييع فرائضه التي فرضها عليه. فإن جماعة من أهل العلم كانت تسمي مَنْ فعل ذلك (منافقًا) فيكون وإن كان مخالفًا في تسميته من كان كذلك بهذا الاسم ـ مصيبًا في تفسير ذلك(١).

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (١/٢٣٣-٢٣٤).

التَّقِيَّة

هي عند أهل السنة والجماعة [1] أن يكون المؤمن في سلطان الكافرين فيخافهم على نفسه، فيظهر لهم الولاية بلسانه، ويضمر لهم العداوة، ولا يشايعهم على ما هم عليه من الكفر، ولا يُعينهم على مُسلم بفعل[2]. هذا هو المعنى الراجح لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[3].

* * *

(١) أما معناها لدى المسلمين الشيعة، فهي أن يبدي الشيعي أمام غير الشيعة غير ما يعتقد. الشيعة في التصور الإسلامي (ص:١٥٠) لعلي عمر فريج ط١ دار عمار بالأردن، عمان، ١٤٠٥هـ.

(٢) ينظر: جامع البيان (٣١٣/٦).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٨.

تكليف ما لا يطاق

زعم بعض الطوائف أن تكليف ما لا يطاق ـ إلا بمعونة الله ـ غير جائز إلا بعد إعطاء الله المكلف المعونة على ما كلفه.

وهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] من أدلّ دليل على فساد هذا الزعم، حيث أمر الله فيها من سبق ذكرهم في الآيات السابقة عليها بالعبادة والتوبة من الكفر، بعد أن أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون، وأنهم عن ضلالتهم لا يرجعون [2] في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[3]. وما قبله.

وهناك الآية السابقة في السورة ـ نفسها ـ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4] حيث أخبر ـ جل ثناؤه ـ أنه ختم على قلوب صنف من كفار عباده وأسماعهم، ثم لم يُسْقط التكليف عنهم، ولم يضع عن أحد منهم فرائضه، ولم يعذره في شيء مما كان منه من خلاف طاعته، بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه، بل أخبر أن لجميعهم منه عذابًا عظيمًا على تركهم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه، مع حتمه القضاء عليهم ـ مع ذلك ـ بأنهم لا يؤمنون. فهذا من أوضح الدليل على فساد قول المنكرين تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله[5].

هذا وللموضوع تفصيل آخر في بحث التوفيق والخذلان.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١.
(٢) ينظر: جامع البيان (١/ ٣٦٣).
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ٧.
(٥) ينظر: جامع البيان (١/ ٢٦٢).

التوراة

هي الكتاب الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على نبيه موسى ﷺ وقد استودع الله ـ تعالى ـ علم التوراة الربانيين والأحبار ـ يعني العلماء[١].

ولقد جاء فيها الأمر باتباع محمد ﷺ وتصديقه، ولكن الذين أوتوا الكتاب (علماء اليهود) نقضوا عهد الله، بتركهم العمل بما واثقوا الله على أنفسهم العمل بما فيه، فجحدوا الحق على علم منهم به ومعرفة، وعاندوا أمر الله، فخالفوا على علم منهم بوجوبه عليهم[٢]. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

تحريف اليهود للتوراة:

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[٤] أي يبدلون معناها، ويغيرونها عن تأويله. و﴿ٱلْكَلِمَ﴾ جماع (كلمة). وقوله: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ فإنه يعني: عن أماكنه ووجوهه التي هي وجوهه[٥].

قلت: وكان ابن جرير يرجح أن الغالب على اليهود تحريف المعاني دون الألفاظ ولكنه في تأويله (تفسيره) لسورة المائدة يقول: فهم لنزع الله ﷻ التوفيق من قلوبهم والإيمان، يحرفون كلام ربهم، الذي أنزله على نبيهم موسى ﷺ وهو التوراة، فيبدلونه ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله ﷻ على نبيهم، ثم يقولون

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٠/٣٤٣).
(٢) ينظر: جامع البيان (٢/٤٠٤).
(٣) سورة البقرة: الآية ١٠١.
(٤) سورة النساء: الآية ٤٦.
(٥) ينظر: جامع البيان (٨/٤٣٢).

لجهال الناس: هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه موسى ﷺ والتوراة التي أوحاها إليه.

وهذا من صفة القرون التي كانت بعد موسى من اليهود ممن أدرك بعضُهم عصر نبينا محمد ﷺ ولكن الله ـ عزَّ ذكره ـ أدخلهم في عداد الذين ابتدأ الخبر عنهم ممن أدرك موسى منهم، إذ كانوا من أبنائهم، وعلى منهاجهم في الكذب على الله، والفرية عليه...»[1].

إقامة التوراة والإنجيل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[2].

ومعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد ﷺ: تصديقهم بما فيها، والعمل بما هي متفقة فيه، وبكل واحد منها في الحين الذي فرض العمل به[3].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (١٠/١٢٨-١٢٩).
(٢) سورة المائدة: الآية ٦٦.
(٣) ينظر: جامع البيان (١٠/٤٦٢-٤٦٣).

التوبة

التوبة من حيث معناها الواسع مبحث له وصلة وثيقة بالعقيدة، لأنها تشمل التوبة من الكفر والشرك، بدخول الإسلام، والردة، وزمن صحة التوبة... إلخ.

أما جانبها الرقائقي الزهدي فله مجال الأخلاق والوعظ..

توبة الذين كفروا ثم ازدادوا كفرا:

ذكر الله ـ تعالى ـ عن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا، أنهم لن تقبل توبتهم.. وأقرب شيء للصواب بشأن ذلك أن الذي لا يُقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر، لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره، لأن الله لا يقبل من مشرك عملًا، ما أقام على شركه وضلاله، فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح، فإن الله ـ كما وصف به نفسه ـ غفور رحيم.

وقد وعد الله ﷻ عباده قبول التوبة منهم، ما دامت أرواحهم في أجسادهم، ولا خلاف بين جميع الحجة [1] في أن كافرًا لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين، أن حكمه حكم المسلمين، في الصلاة عليه، والموارثة وسائر الأحكام غيرها، فكان معلومًا بذلك أن توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم الإسلام، ولا منزلةَ بين الموت والحياة، يجوز أن يقال: «لا يقبل الله فيها توبة الكافر، فإذا صح أنها في حال حياته مقبولة، ولا سبيل بعد الممات إليها، بطل قول الذي زعم أنها غير مقبولة عند حضور الأجل» [2].

---

(١) الحجة: العلماء الثقات.

(٢) ينظر: جامع البيان (٦/٥٨٢-٥٨٣).

وقت امتناع التوبة:

لا صحة ولا مكان لتوبة من أراد التوبة من أهل الإصرار على معاصي الله، إذا حشرج أحدهم بنفسه، وعاين ملائكة ربه، قد أقبلوا إليه لقبض روحه، قال ـ وقد غُلب على نفسه، وحيل بينه وبين فهمه، بشغله بكرب حشرجته وغرغرته ـ: ﴿إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ فليس له عند الله توبة، لأنه قال ما قال في غير حال التوبة[1].

وعند طلوع الشمس من مغربها لا ينفع كافرًا ـ لم يكن آمن بالله قبل طلوعها ـ إيمانه بالله، إن آمن وصدق بالله ورسله، لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله، لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقًا، ولفرائض الله مضيعًا، غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذ هي طلعت من مغربها ـ أعماله إن عمل، وكسبه إن اكتسب ـ لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك[2].

إمكان توبة القاتل عمداً:

مَنْ قَتَل مؤمنا متعمدًا، فجزاؤه جهنم خالدًا فيها، ولكنه ـ تعالى ـ يعفو ويتفضل على أهل الإيمان به وبرسوله، فلا يجازيهم بالخلود فيها، ولكنه ـ عز ذكره ـ إما أن يعفو بفضله فلا يدخله[3] النار، وإما أن يدخله إياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته، لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله[4]: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ

---

(١) ينظر: السابق (٨/٩٨-٩٩).
(٢) ينظر: السابق (١٢/٢٦٦-٢٦٧).
(٣) الضمير في (يدخله) عائد إلى أول الجملة (من قتل مؤمنا).
(٤) ينظر: السابق (٩/٦٩).

أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[1].

تكرر استتابة المرتد والحكم بتوبته مهما تكرر ذلك:

لقد قام الدليل على أن المرتد يستتاب المرة الأولى.. وهذا يدل ـ أيضًا ـ على أن حكم كل مرة ارتد فيها عن الإسلام حكم المرة الأولى، في أن توبته مقبولة، وأن إسلامه حَقَن له دمه، لأن العلة التي حقنت دمه في المرة الأولى: إسلامه، فغير جائز أن توجد العلة التي من أجلها كان دمه محقونا في الحالة الأولى، ثم يكون دمه مباحًا مع وجودها، إلا أن يُفَرق بين حكم المرة الأولى وسائر المرات غيرها، ما يجب التسليم له من أصل محكم، فيخرج من حكم القياس حينئذ[2].

* * *

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق (٩/٣١٨).

التوفيق والخذلان

هذا المبحث متصل بموضوع القدر ومسئولية الناس إزاء الرسل والوحي، وما يترتب على ذلك من الثواب والعقاب..

فالتوفيق والخذلان بيد الله، فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء من خلقه، ويوفق لقبوله من شاء[١].

الهداية:

الهداية نوعان:

الأول: بيان الواجب من الفرائض.

والثاني: التوفيق، وشرح الصدور للحق والإيمان، والتسديد إلى الطريق القويم[٢].

وهذا النوع الثاني بيد الله وإليه، دون سائر خلقه[٣].

فمن خذله الله عن الإسلام، فلم يوفقه للإقرار به. فلن يجد له أحدٌ طريقًا يهديه فيها إلى إدراك ما خذله الله عنه، ولا منهجًا يصل منه إلى الأمر الذي قد حرمه الوصول إليه[٤] والله ـ سبحانه ـ يختار للهداية والإيمان والعمل الصالح مِنْ خَلْقه ما هو في سابق علمه أنه خِيْرة خلقه، فذلك اختياره ـ تعالى ـ لنفسه، واجتباؤه لولايته، واصطفاؤه لخدمته وطاعته خيار مملكته وخلقه[٥].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٦/٥١٦).
(٢) السابق (١/١٦٧) و (٣/١٤٠).
(٣) السابق (٦/٥١٦).
(٤) السابق (٩/١٦).
(٥) السابق ط. الحلبي (٢٠/١٠٠).

الطبع:

الذين كذّبوا الرسل طبع الله على قلوبهم فختم عليها فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم، ولا يستجيبون لدعائهم إياهم إلى ربهم، بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام، كذلك يطبع الله على قلوب من اعتدى على حق ربه فتجاوز ما أمره به من توحيده، وخالف ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته، عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم[١].

الصمم والعمى عن الهدى:

الذين يفسدون في الأرض ويقطعون الأرحام، الذين لعنهم الله فأبعدهم من رحمته: أصمهم وسلبهم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله في تنزيله، وسلبهم عقولهم، فلا يتبينون حجج الله، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته[٢].

الأكِنَّة على القلوب:

من يسمع القرآن من رسول الله ﷺ ويستمع ما يدعوه إليه من توحيد الله وأمره ونهيه، ولا يفقه ما يقول، ولا يوعيه قلبه، ولا يتدبره ولا يصغى له سمعه، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليه، إنما يسمع صوته وقراءته وكلامه ولا يعقل عنه ما يقول، لأن الله قد جعل على قلبه (أكنة) وجعل في آذانهم ثقلًا وصممًا عن فَهْمِ ما يتلو عليهم، والإصغاء لما يدعوهم إليه[٣].

استطاعة السمع والأبصار:

ذكر الله ـ تعالى ـ عن الكفار أنهم: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟

---

(١) السابق ت. شاكر (١٥/١٥٤).
(٢) السابق ط. الحلبي (٢٦/٥٧).
(٣) السابق ت. شاكر (١١/٣٠٥)، والأكنة: جمع كنان: وهو الغطاء.

يُبۡصِرُونَ ﴾[1] والصواب من القول في معنى ذلك: أن الله وصفهم ـ تعالى ذكره ـ بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحقَّ سماع منتفع، ولا يبصرونه إبصار مهتدٍ؛ لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماع وأبصار[2].

الشورى واللطف:

إن المؤمنين إذا تشاوروا مستنين بفعله ﷺ في ذلك، على تصادق وتآخ للحق، وإرادة جميعهم للصواب، من غير ميل إلى هوى، ولا حَيْد عن هدى، فالله مسددهم وموفقهم[3].

الهداية واللطف:

أنكر أهل التفويض من القدرية أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه، يلطف بها له حتى يهتدي للحق فينقاد له، وينيب إلى الرشاد فيذعن به، ويؤثره على الضلال والكفر بالله.

وقد أخبر الله ـ تعالى ـ أنه لو شاء الهداية لجميع من كفر به، حتى يجتمعوا على الهدى ـ فعل، ولا شك أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لا ضلالًا، وهم لو كانوا مهتدين كان لا شك أن كونهم مهتدين كان خيرًا لهم، وفي تركه ـ تعالى ـ أن يجمعهم على الهدى، وترك منه أن يفعل بهم في دينهم بعض ما هو خير لهم فيه، مما هو قادر على فعله بهم، وقد ترك فعله بهم. وفي تركه فعل ذلك بهم، أوضح الدليل أنه لم يعطهم كل الأسباب التي بها يصلون إلى الهداية، ويتسببون بها إلى الإيمان[4].

---

(١) سورة هود: الآية ٢٠.
(٢) ينظر: جامع البيان (١٥/ ٢٨٧).
(٣) السابق (٧/ ٣٤٥-٣٤٦).
(٤) السابق (١١/ ٣٤٠-٣٤١).

التوكل

هو الثقة بالله ـ تعالى ـ في كل ما يأتي الإنسان من أموره وما يدع، أو يحاول أو يزاول، والرضا بقضائه في كل ذلك، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم، مع الاستسلام لحكمه ـ تعالى ـ في هؤلاء الخلق، سواء وافق ذلك منهم هوى أو خالفه(١).

وبهذا المعنى من التوكل يكفي الله المؤمنين أعداءهم، ولا يستذلهم من ناوأهم(٢).

مواضيع لم ترد في هذا الحرف (التاء):

التعميد عند النصارى ـ صبغة الله

التنجيم ـ الكهانة والعرّافة

توحيد الربوبية ـ الربوبية والألوهية والتوحيد

توحيد الألوهية ـ الربوبية والألوهية والتوحيد

توحيد التوحيد ـ الربوبية والألوهية والتوحيد

توحيد الأسماء والصفات ـ الربوبية والألوهية والتوحيد

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (٧/٣٤٦).
(٢) السابق (١٤/١٥).



الجاهلية	جبريل عليه السلام
جحود الحج	الجنة

الجاهلية

الجاهلية: هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين..[١].

ظن الجاهلية:

هو ظن أهل الشرك بالله، شكًا في أمر الله، وتكذيبًا لنبيه ﷺ ومَحْسَبةً من المنافقين أن الله خاذلٌ نبيه، ومعلٍ عليه أهل الكفر به، وذلك في وقعة أحد[٢].

الجاهلية الأولى:

جائز أن يكون المقصود بالجاهلية الأولى ما بين آدم وعيسى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح، وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح، فتكون الجاهلية الآخرة ما بين عيسى ومحمد ﷺ وعلى التفسير الأول يمكن أن يقال: هل في الإسلام جاهلية؟ فيقال: نعم ! فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية[٣].

---

(١) النهاية لابن الأثير (١/٣٢٣)، باب الجيم مع الهاء.
(٢) ينظر: جامع البيان (٧/٣٢٠).
(٣) السابق، ط. الحلبي (٢٢/٤ - ٥).

جبريل عليه السلام

هو روح القُدُس، وسماه الله (روحًا) وأضافه إلى (القُدُس)، لأنه كان بتكوين الله به، روحًا من عنده، من غير ولادة والد ولَدَه، فسماه بذلك (روحًا) وأضافه إلى (القُدس) و(القدس) هو الطهر، كما سمي عيسى بن مريم (روحًا) لله، من أجل تكوينه له روحًا من عنده، من غير ولادة والد ولده[١].

جبريل عليه السلام واليهود:

أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا أن قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢] الآية نزل جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك. فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته[٣].

وقد أخرج ابن جرير عدة روايات مطولة ومختصرة لهذه المحاورة أولها عن ابن عباس، بإسناد صحيح، كما يقول الشيخ العلامة أحمد شاكر: قال ابن عباس: حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم ! حدثنا عن خِلال نسألك عنهن، لا يعلمهن إلا نبي! فقال رسول الله ﷺ: «**سلوا عما شئتم...**» الحديث[٤].

* * *

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/٣٢٢).
(٢) سورة البقرة: الآية ٩٧.
(٣) انظر: جامع البيان (٢/٣٧٧).
(٤) ورقمه في تحقيق شاكر (١٦٠٥).

جحود الحج

من جحد فرض الحج وأنكر وجوبه، فإن الله غني عنه وعن حجه وعن العالمين جميعًا. والكافر بفرض الحج على من فرضه الله عليه كافر بالله.

فالكفر أصله الجحود، ومن كان له جاحدًا، ولفرضه منكرًا، فلا شك إن حج لم يَرْجُ بحجه برًا، وإن تركه فلم يحج لم يره مأثمًا[1].. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وقد اختار ابن جرير هذا القول بعد ما أورد أقوال الناس في ذلك، الذين منهم من قال: مثل ما ذهب إليه. ومنهم من قال: إن المقصود بمن كفر. أن لا يكون معتقدًا في حجه أن له الأجر عليه، ولا أن عليه بتركه إثمًا ولا عقوبة. ومنهم من قال: المعنى: من كفر بالله واليوم الآخر. ومنهم من قال: الكفر هو الكفر بهذه الآيات التي في مقام إبراهيم. ومنهم من قال: من كفر بالبيت! ومنهم من قال: كفره به: تركه إياه حتى يموت[3].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (٧/٥١-٥٢).
(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧.
(٣) ينظر: جامع البيان (٧/٤٧-٥١).

الجنة

المراد بالجنات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾[1] الآية. هو جمع (جنة)، والجنة: البستان، والمعنى بِذِكر الجنة: ما في الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها ـ دون أرضها، ولذلك قال ـ عز ذكره ـ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ لأنه معلوم أنه إنما أراد ـ جل ثناؤه ـ الخبر عن ماء أنهارها أنه جار تحت أشجارها وغروسها وثمارها، لا أنه جار تحت أرضها، لأن الماء إذا كان جاريًا تحت الأرض، فلا حظّ فيها لعيون مَنْ فوقها، إلا بكشف الساتر بينها، على أن الذي توصف به أنها الجنة، أنهار جارية في غير أخاديد[2].

مشابهة أرزاق الجنة لأرزاق الدنيا:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[3] أي كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة رزقًا، قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا، فإن قيل: وكيف قال القوم: هذا الذي رزقنا من قبل، والذي رزقوه من قبل قد عُدم بأكلهم إياه؟ وكيف يجوز أن يقول أهل الجنة قولًا لا حقيقة له؟ قيل: إن الأمر على غير ما ذهبتَ إليه في ذلك. وإنما معناه: هذا من النوع الذي رزقناه من قَبل هذا، من الثمار والرزق، كالرجل يقول لآخر: قد أعد لك فلان من الطعام كذا وكذا، من ألوان الطبيخ والشواء والحلوى. فيقول المقول له ذاك: هذا طعامي في منزلي! يعني بذلك: أن النوع الذي ذكر له صاحبه أنه أعده له من الطعام هو طعامه، لا أن

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.
(٢) ينظر: البيان (١/٣٨٤).
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥.

أعيان ما أخبره صاحبه أنه قد أعده له، هو طعامه. بل ذلك مما لا يجوز لسامع سَمعه يقول ذلك، أن يتوهم أنه أراده أو قصده؛ لأن ذلك خلاف مَخرَج كلام المتكلم، وإنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف في الناس من مخارجه، دون المجهول من معانيه. فكذلك ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ إذ كان ما كانوا رزقوه من قبل قد فني وعُدم. فمعلوم أنهم عَنَوا بذلك: هذا من النوع الذي رزقناه من قبل، ومن جنسه في السمات والألوان(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يؤكد ما ذهب إليه ابن جرير في تفسير قول أهل الجنة: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ حيث تدل هذه الفقرة من الآية على ما دلَّت عليه الفقرة السابقة، حيث يقول: وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية، تأويل من قال: وأُتوا به متشابهًا في اللون والمنظر، والطعم مختلف، يعني بذلك اشتباه ثمر الجنة وثمر الدنيا في المنظر واللون، مختلفًا في الطعم والذوق... فتشابه ما أتوا به في الجنة منه، والذي كانوا رزقوه في الدنيا في اللون والمرأى والمنظر، وإن اختلفا في الطعم والذوق، فتباينا، فلم يكن لشيء مما في الجنة من ذلك نظير في الدنيا(٢).

ومن أنكر ذلك، فزعم أنه غير جائز أن يكون شيء مما في الجنة نظيرًا لشيء مما في الدنيا بوجه من الوجوه، فيقال له: أيجوز أن يكون أسماء ما في الجنة من ثمارها وأطعمتها وأشربتها نظائر أسماء ما في الدنيا منها؟

فإن أنكر ذلك، خالف نص كتاب الله؛ لأن الله ـ جل ثناؤه ـ إنما عرّف عباده في الدنيا ما هو عنده في الجنة بالأسماء التي يُسمى بها ما في الدنيا من ذلك. وإن

(١) ينظر: جامع البيان (١/٣٨٨-٣٨٩).
(٢) ينظر: جامع البيان (١/٣٩٢).

قال: ذلك جائز، بل هو كذلك ! قيل له: فما أنكرت أن يكون ألوان ما فيها من ذلك، نظير ألوان ما في الدنيا منه، بمعنى البياض والحمرة والصفرة وسائر صنوف الألوان، وإن تباينت فتفاضلت بفضل حسن المرآة والمنظر، فكان لما في الجنة من ذلك البهاء والجمال وحسن المرآة والمنظر، خلاف الذي لما في الدنيا منه، كما كان جائزًا ذلك في الأسماء مع اختلاف المسميات بالفضل في أجسامها؟

ثم يُعكس عليه القول في ذلك، فلن يقول في أحدهما شيئًا إلا لزم في الآخر مثله ثم أورد أبو جعفر أثرًا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بإسنادٍ قال فيه الشيخ أحمد شاكر: «إنه إسناد صحيح ـ أنه قال: إن الله لما أخرج آدم من الجنة، زوَّده من ثمار الجنة، وعلَّمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غَيَر أن هذه تغير، وتلك لا تغير».

ثم أورد تأويلًا لبعض أهل العربية لقوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ حيث قال: إنه متشابه في الفضل، أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه، مثل الذي للآخر في نحوه. ولكنه رد عليه قائلًا: وليس هذا قولًا نستجيز التشاغل بالدلالة على فساده، لخروجه عن جميع علماء أهل التأويل، وحسب قولٍ ـ بخروجه عن قول جميع أهل العلم ـ دلالة على خطئه [1].

بقاء الجنة:

يذهب ابن جرير إلى ما ذهب إليه الضحاك في معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [2] فيقول: خالدين في الجنة ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/٣٩٣-٣٩٤).
(٢) سورة هود: الآية ١٠٨.

والمعنى: إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة، أي أن الاستثناء عائد إلى قدر مكثهم في النار من لدن دخولها إلى أن أدخلوا الجنة. وأن هذا النعيم دائم متصل لا يُقطع عنهم أبدا[1].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (١/٤٨٧-٤٨٩).

الراء

الربوبية والألوهية والتوحيد	رؤية الباري ﷻ

الربوبية والألوهية والتوحيد

البحث في مسائل العقيدة في الله ـ تعالى ـ في النصوص الشرعية يقوم على هذه القضايا الرئيسة [١]، التي يعتمد بعضها على بعض، بحيث تكون في النهاية تصورًا متكاملًا بشأن ما ينبغي أن يعتقد في مجال معرفة الله ـ تعالى ـ [١].

علم العرب وغيرهم بوحدانية الله في ربوبيته:

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

فنهاهم الله أن يشركوا به شيئًا، وأن يعبدوا غيره، أو يتخذوا له ندًا وعدلًا في الطاعة، فكما أنه لا شريك له في الخلق والرزق والملك والنعم التي أنعم بها، فكذلك يجب إفراده بالطاعة، وإخلاص العبادة له، ولا يجوز أن يجعل له شريك ولا ند من خلقه؛ لأنه معلوم أنه ما من نعمة إلَّا وهي منه وحده ﷻ.

---

(١) عندما صارت للشيوعية الملحدة دولة قوية، تنشر الإلحاد (والإلحاد الغليظ، وهو إنكار وجود الرب سبحانه) بكل الوسائل المدنية والعسكرية، برزت مسألة إثبات وجود الله ـ تعالى ـ بشكل واسع، فاحتاجت هذه القضية إلى اهتمام أكثر وجهود أضخم، وهذا ما لم يكن لدى السابقين بهذه الصورة، ولكن ذلك قد انتهى أو كاد ـ بحمد الله ـ بعد سقوط هذه الدولة سنة ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢.

والعرب كانوا يعلمون بوحدانية الله، وأنه مبدع الخلق وخالقهم، ورازقهم، نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين، بل كل إنسان مكلف يعلم بوحدانية الله، وأنه لا شريك له في خلقه، كائنًا من كان من الناس، عربيًا كان أو عجميًا، كاتبًا أو أميًا، وإن كان الخطاب في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ متوجها إلى كفار أهل الكتاب والمنافقين والمشركين الذين تحولوا إلى النفاق بمقدم رسول الله ﷺ دار الهجرة(١).

الاحتجاج بالربوبية على التوحيد:

يقيم الله ـ تعالى ـ حججه الواضحة القاطعة على عباده أن لا يشركوا به غيره في عبادته، بأنه ـ تعالى ـ خلق السماوات والأرض، وباختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل من السماء من ماء فأحياء به الأرض بعد موتها، وما بث فيها من كل دابة، والسحاب الذي سخره بين السماء والأرض، فإن كان ما يعبد من دون الله من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما يشرك به الناس، إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعض بقدر على أن يخلق نظير شيء من خلق الله الذي ذكره الله في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢) الآية فلو كان ذلك كذلك فلهم بعبادتهم ما يعبدون من دون الله ـ تعالى ـ حينئذٍ عذر، وإلا فلا عذر لهم في اتخاذ إله سواه، ولا إله لهم ولما يعبدون غيره ـ سبحانه ـ(٣).

معنى: وحدانية الله:

قال بعضهم: معناها نفي الأشباه والأمثال عنه، كما يقال: فلان واحد الناس،

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/٣٦٩-٣٧٢).
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩٠.
(٣) ينظر: جامع البيان (٣/٢٦٧).

وهو واحد قومه، يعني بذلك: أنه ليس له في الناس مثل، فكذلك معنى قول: «الله واحد»، أي: لا مثل له ولا نظير.

وزعموا أن الذي دلَّ على صحة ذلك أن قول القائل (واحد) يفهم لمعان أربعة:

أحدهما: أن تكون (واحد) من جنس، كالإنسان الواحد من الإنس.

الثاني: أن يكون غير متفرق، كالجزء الذي لا ينقسم[١].

الثالث: أن يكون معنيًا به (المثل والاتفاق) كقول القائل (هذان الشيئان واحد) يراد بذلك أنهما متشابهان حتى صارا لاشتباههما في المعاني كالشيء الواحد.

الرابع: أن يكون مرادًا به نفي النظير عنه والشبيه.

قالوا: ولما كانت المعاني الثلاثة من معاني (الواحد) منتفية عنه صح المعنى الرابع الذي ذكر.

وقال آخرون: معناها انفراده ـ تعالى ـ عن الأشياء، وانفراد الأشياء منه، قالوا: وإنما كان منفردًا وحده؛ لأنه غير داخل في شيء، ولا داخل فيه شيء ـ سبحانه ـ وقد أنكروا ما ذهب إليه الأولون[٢]. بالنسبة لمعنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٣] الآية[٤].

عاقبة الشك:

توعد الله ـ تعالى ـ من أخفى في نفسه الشك في الله، أو مارى في وحدانيته،

---

(١) وهو بتعبير الفلاسفة: الجوهر الفرد.

(٢) لم يتعرض ابن جرير لمناقشة القولين، بل تجاوزهما دون أي نظر، ويظهر لي أنه بذلك لا يرى مانعًا من قبولهما معًا، بالرغم من إنكار أهل القول الثاني القول الأول.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٣.

(٤) ينظر: جامع البيان (٣/٢٦٥-٢٦٦).

أو في نبوة نبيه ﷺ وما جاء به من عند الله، أو في المعاد والبعث من المنافقين، بالهلاك والخلود في النار والعذاب الأليم[1]، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[2].

لا التفات إلى المعطلة والدهرية:

لقد حاجَّ اللهُ بخلق السماوات والأرض وخلق غيرهما قومًا كانوا مقرين بأن الله خالقهم، غير أنهم يشركون في عبادته عبادة الأصنام والأوثان، فأخبرهم أن إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، وكفروا هم بها، فالذين ذكروا بذلك هم المقرون بالربوبية، دون المعطلة والدهرية، وإن كان في أصغر ما عد الله من النعم الحجج البالغة مقنعًا لجمع الأنام[3].

تدبير الله لكل ما في الكون:

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4] الآية أي لله ملك كل ما في السماوات وما في الأرض من صغير وكبير، وإليه تدبير جميعه، وبيده صرفه وتقليبه، لا يخفى عليه من شيء، لأنه مدبره ومالكه ومصرفه[5].

المَثَل الأعلى لله:

لله المثل الأفضل والأطيب والأحسن والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره[6] قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ

(١) السابق (٦/١٢٢-١٢٣).
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.
(٣) ينظر: جامع البيان (٣/٢٧٧-٢٧٨).
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.
(٥) ينظر: جامع البيان (٦/١٠١).
(٦) ينظر: جامع البيان ط. الحلبي (١٤/١٢٥) و (٢١/٣٨).

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

هل يُشَك في الله ـ تعالى ـ؟

هذا التساؤل الذي ورد في مخاطبة الرسل لأقوامهم، مقصود به استنكار الشك في أن الله تعالى هو المستحق الألوهة[٢] والعبادة دون جميع خلقه[٣]، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤] الآية.

القول الثابت:

هو القول الحق، يحقق الله به أعمال المؤمنين وإيمانهم، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله [٥]. قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾[٦].

* * *

(١) سورة النحل الآية ٦٠ وفي سورة الروم ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الآية: ٢٧.
(٢) هكذا يعبر ابن جرير (الألوهة) بدون ياء.
(٣) ينظر: جامع البيان (١٦/٥٣٦).
(٤) سورة إبراهيم: الآية ١٠.
(٥) ينظر: جامع البيان (١٦/٥٨٩).
(٦) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

رؤية الباري ﷻ

المراد بها مسألة رؤية المؤمنين لله ـ تعالى ـ في الآخرة حقيقة بأبصارهم.

الأدلة عليها:

فقد وعد الله المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى: أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنة، وأن تَبْيَضّ وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وبغير ذلك من الإكرام.

كما ثبت هذا التفسير في روايات كثيرة، منها ما رواه الإمام مسلم عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا دَخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجنَّةَ، يقولُ اللهُ تَبارك وتعالى: تُريدُونَ شَيئًا أزيدُكم؟ فيقولون: أَلَمْ تبيضْ وجوهَنا؟...**» الحديث[1]، وقد أوردها ابن جرير بإسناده[2].

وقد جاء الأثر عن رسول الله ﷺ الذي يبين معنى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3] وهو أنها تنظر إلى خالقها، كما فسَّره بذلك الحسن وعكرمة ـ رحمهم الله تعالى ـ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى القول بأن معنى هذه الآية: أن وجوه المؤمنين تنتظر الثواب من ربها، كما نُقل ذلك عن مجاهد، وأبي صالح..[4].

لا تدركه الأبصار ـ سبحانه ـ:

ذكر الإمام ابن جرير أقوال الناس في معنى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ

---

(١) صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد، ط دار إحياء التراث العربي [١/١٦٣ (١٨١)] كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ.

(٢) ينظر جامع البيان (١٥/٦٧ و ٧١).

(٣) سورة القيامة: الآية ٢٣.

(٤) ينظر جامع البيان (٢٩/١٩٢-١٩٣).

ﭐلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[١].

١- فقيل: لا تحيط به الأبصار، وهو يحيط بها.

٢- وقيل: لا تراه الأبصار، وهو يرى الأبصار.

٣- وقيل: لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا، وأما في الآخرة فإنها تدركه، وفسروا الإدراك هنا بـ(الرؤية).

٤- وقيل: لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة، وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله.

٥- وقيل: لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة، وأما بالرؤية فبلى.

٦- وقيل معناها: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وتدركه ـ تعالى ـ في الآخرة.

٧- وقيل: لا تدركه أبصار من يراه بالمعنى الذي يُدْرك به الرب القديم[٢] أبصار خلقه.

فيكون الذي نَفَىَ عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه، هو الذي أثبته لنفسه.

٨- وقيل: لن يدرك الله ـ تعالى ـ بصر أحد في الدنيا والآخرة، ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس، فيرونه بها.

هذا، وإنه قد نصر القول الأول، ورد القول الثاني وقال: لأن الله ـ جل ثناؤه ـ أخبر في كتابه أن وجوهًا في القيامة إليه ناظرة، وأن رسول الله ﷺ أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس ليس دونها سحاب.

---

(١) سورة النعام: الآية ١٠٣.

(٢) أطلق ابن جرير كلمة (القديم) هنا، وهي تسمية لم ترد في النصوص، وفيها محاذير، فلا ينبغي إطلاقها.

فإذْ كان الله قد أخبر في كتابه بما أخبر، وحقَّقت أخبار رسول الله ﷺ بما ذكرنا عنه من قِيله ﷺ «أن تأويل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] أنه نظر أبصار العيون لله جَلَّ جَلَالُهُ»[2] وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضا، وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخًا للآخر، إذْ كان غير جائز في الأخبار[3]،[4] عُلم أن معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ غير معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله، ولا يدركونه بها، تصديقًا لله في كلا الخبرين وتسليمًا لما جاء به تنـزيله، على ما جاء به في السورتين.

ثم ناقش الأقوال الستة الباقية، وعاد وأكد ما ذهب إليه سابقًا بقوله: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّكُم سَتَرَون ربَّكُم يومَ القيامةِ كَمَا تروَن القَمَرَ ليلةَ البدرِ**»، «**وَكَما تَرَوَن الشَّمسَ لَيْسَ دُونها سَحَابٌ**». فالمؤمنون يرونه، والكافرون عنه محجوبون، كما قال ـ جل ثناؤه ـ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[5] ثم كرّ أخيرًا على تلك المقالات المخالفة وخاصة أصحاب مقالة (اللون) الذين ادعوا لزوم القول باللون لله تعالى إذا قيل بإمكان الرؤية، واحتجَّ عليهم بإقرارهم بالعلم بالموصوف بالتدبير ـ وهو الله تعالى ـ دون أن يروا لزوم اللون، فإذا كان لا يلزم هنا فلا يلزم هنالك.

ثم قال: ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس، كرهنا ذكرها، وإطالة الكتاب بها، وبالجواب عنها، إذ لم يكن قصدنا في كتابنا هذا قصد الكشف عن

(١) سورة القيامة: الآيات ٢٢-٢٣.
(٢) الأحاديث المثبتة للرؤية في صحيح البخاري، فتح الباري (١٣/٤١٩). وما بعدها (٧٤٣٤-٧٤٣٩) وفي صحيح مسلم (١/١٦٣) وما بعدها (١٨٠-١٨٣). كما أشار إلى ذلك الشيخ محمود شاكر.
(٣) أي لا يجوز النسخ في الأخبار بل في الأحكام كما هو معلوم.
(٤) أشار ابن جرير هنا وفي أكثر من موضع إلى كتابه (لطيف البيان، عن أصول الأحكام).
(٥) سورة المطففين: الآية ١٥.

تمويهاتهم، بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آي الفرقان، ولكنا ذكرنا القدر الذي ذكرنا؛ ليعلم الناظر في كتابنا هذا أنهم لا يَرجعون من قولهم إلا إلى ما لبّس عليهم الشيطان، مما يسهل على أهل الحق البيان عن فساده، وأنهم لا يرجعون في قولهم إلى آية من التنزيل محكمة، ولا رواية عن رسول الله ﷺ صحيحة ولا سقيمة، فهم في الظلمات يخبطون، وفي العمياء يترددون، نعوذ بالله من الحيرة والضلالة[١].

التأكيد على الاعتقاد بثبوتها:

وقد صرح بعقيدته في ذلك، بكل وضوح في رسالته (صريح السنة) فقال: وأما الصَّواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم ﷻ يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة، فهو أن أهل الجنة يرونه، على ما صحَّت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، ثم ساق حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه بإسناده وفيه قوله ﷺ: «**إِنَّكم رَاؤُونَ ربَّكُم ﷻ كَمَا تَرونَ هَذا القمرَ، لا تُضَامُّونَ**[٢] **في رؤيتِهِ...**» الحديث. ثم قال: قال يزيد (يريد يزيد بن هارون أحد رواة الحديث): مَنْ كذّب بهذا الحديث، فهو بريءٌ من الله ورسوله، (حَلَفَ غير مرة)، وأقول أنا (أي ابن جرير): صدق رسول الله، وصدق يزيد، وقال الحق[٣].

د. موسى وابن جرير ومسألة الرؤية:

وتجدر الإشارة هنا إلى ما نقله د. محمد يوسف موسى في كتابه (القرآن والفلسفة) من موقف ابن جرير هذا، وما يبدو من موافقة د.موسى لابن جرير

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٢/١٣-٢٢).
(٢) أي لا ينضم بعضكم إلى بعض، وتزدحمون وقت النظر إليه. النهاية لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ط المكتبة العلمية، بيروت (١٠١/٣)، وعلى تخفيف الميم معناه: لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، والضيم: الظلم.
(٣) صريح السنة (ص:٢٠).

عليه، وأنه أثر للقرآن والحديث في التوجيه إلى رأي فلسفي خاص، يذهب إليه من يراه، ثم يدافع عنه، كما يستطيع، وفي مقابل من يكوّن مذهبه، مستوحيًا القرآن أو غير القرآن، ثم يلتمس بعد هذا تصحيحًا لموقفه، وسندًا له لدى المسلمين ـ الدليل له من القرآن، وربما من الحديث ـ أيضًا ـ مع ما يكون في ذلك من العسر ـ أحيانًا ـ. وفي مثل هذه الحالة الثانية، لا يكون القرآن هو الذي أوحى بالرأي أو بالفكرة، بل هو الذي التمس منه السند، تقوية للرأي، ودرءًا للتهمة عن الذاهب إليه[1].

المحجوبون عن الله ـ تعالى ـ:

هم المكذبون بيوم الدين والبعث والجزاء، فقد أخبر الله عنهم أنهم: ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[2] أي أنهم عن رؤيته ـ تعالى ـ محجوبون، ويحتمل أن يكون مرادًا به الحجاب عن كرامته، وأن يكون مرادًا به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدل على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله ﷺ قامت حجته، فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته، إذ كان الخبر عامًا، لا دلالة على خصوصه[2].

مواضع لم ترد في هذا الحرف (الراء):

- الرئاسة العليا للمسلمين = الإمامة.
- الرسل = الأنبياء.
- الروح الأمين = جبريل عليه السلام.

---

(١) القرآن والفلسفة، د. محمد يوسف موسى ـ رحمه الله تعالى ـ (ص:٩١-٩٣) ط. دار المعارف بمصر ١٩٥٨م. وهنا لابد من الإشارة إلى شيء من عدم الدقة في نقل أقوال ابن جرير حيث استبدلت كلمة (بأبصارهم) في قوله: «جائز أن يروا ربهم بأبصارهم» إلى كلمة (ببصائرهم) في أول (ص:٩٢). بينما تتفق ط. الحلبي (٣٠/٧)، وط. شاكر (١٥/١٢) على كلمة (بأبصارهم).

(٢) ينظر: جامع البيان، ط الحلبي (٣٠/١٠٠-١٠١).

السين

السحر	سليمان بن داود عليهما السلام

السحر

اختلف في معنى السحر، فقيل: هو خدع ومخاريق و معان يفعلها الساحر، حتى يخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيد، فيخيل إليه أنه ماء، ويرى الشيء من بعيد، فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا، يخيل إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائر معه. قالوا: فكذلك المسحور، ذلك صفته: يحسب بَعْدَ الذي وصل إليه من سحر الساحر، أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته.

وأنكر هؤلاء أن يكون الساحر يَقْدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته، واستسخار شيء من خلق الله، إلا نظير الذي يقدر عليه من ذلك سائر بني آدم.

وقيل: قد يقدر الساحر بسحره أن يحوِّل الإنسان حمارًا، وأن يسحر الإنسان الحمار، وينشئ أعيانًا وأجسامًا، ودللوا على ذلك بقدرة الساحر على التفريق بين المرء وزوجه وقال آخرون: بل السحر أخذ بالعين[1].

هذا ما ذكره ابن جرير في هذا الموضع، دون أية مناقشة أو اختيار، لكنه في

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٤٣٦-٤٤٢).

موضع آخر[١] تبين فيه أنه يذهب إلى الرأي الأول، حيث فسر التفريق بين المرء وزوجه بأنه: تخييله بسحره إلى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته، من حسن وجمال، حتى يقبحه عنده، فينصرف بوجهه، ويعرض عنه، حتى يحدث الزوج لامرأته فرقًا، فيكون الساحر مفرقا بينهما، بإحداثه السبب الذي كان منه فرقة ما بينهما[٢].

متى وجد السحر؟

وجد السحر في عهد موسى عليه السلام حيث أخبر الله عن سحرة فرعون ما أخبر، وهذا يدل على أن السحر متقدم ـ أيضًا ـ على موسى عليه السلام ـ بمدة أظنها طويلة، حيث إنه قد بلغ في عهد موسى مبلغًا كبيرًا من الحدث والتمرس[٣].

متى يضر السحر؟

لا يضر السحر أحدًا إلا من قضى الله عليه أن ذلك يضره، فأما من دفع الله عنه ضَرّه، وحفظه من مكروه السحر والنفث والرُقي، فإن ذلك غيرُ ضاره، ولا نائله أذاه[٤].

الخسران للساحر:

من آثر السحر على كتاب الله الذي أنزله على رسوله، فليس له في الدار

(١) السابق (٢/٤٤٧).
(٢) قلت: من المتعارف عليه في مجتمعنا ـ للأسف ـ ما يسمى ب(التعقيد) وهو منع الزوج من إمكانية جماع امرأته. إذا سحر في أول زواجهما...
(٣) ينظر: جامع البيان (٦/٤١٨).
(٤) ذكر ابن جرير أن الله ـ تعالى ـ أخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح: إنه ساحر. وقد لفت نظري هذا الأمر واستغربته فراجعت المصحف، فلم أجد أي إشارة في القرآن إلى اتهام قوم نوح نبيهم بالسحر، ولقد مرّ هذا على مُراجع ط. الحلبي (١/٤٥١)، وعلى الشيخ محمود شاكر في تحقيق (٢/٤١٨). فلم يلتفتوا إليه.. فسبحان الله العظيم.

الآخرة حظ من الجنة، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين، ولا عمل صالح يجازى به في الجنة ويثاب عليه، فلا نصيب له في الخيرات أما الشرور فإن له منها نصيبًا [١].

كيف تعلم اليهود السحر؟

لقد أخبر الله عن اليهود أنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين على عهد سليمان باتباع ما تلته الشياطين، والتلاوة لها معنيان في كلام العرب: الاتباع أو القراءة والدراسة، ولم يخبرنا الله ـ جل ثناؤه ـ بأي معنى التلاوة كانت تلاوة الشياطين الذين تلوا ما تلوه من السحر على عهد سليمان. بخبر يقطع العذر، وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملًا، فتكون كانت متبعتَه بالعمل، ودراسته بالرواية. فاتبعت اليهود منهاجًا في ذلك وعملت به وروته[٢].

هل نزل علم السحر، وهل يجوز تعلمه؟

إن الله ﷻ قد أنزل الخير والشر كله، وبين جميع ذلك لعباده، فأوحاه إلى رسله، وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحل لهم مما يحرم عليهم، وذلك كالزنا والسرقة وسائر المعاصي التي عرفوها، ونهاهم عن ركوبها، فالسحر أحد تلك المعاصي التي أخبرهم بها، ونهاهم عن العمل بها.

وليس في العلم بالسحر إثم، كما لا إثم في العلم بصنعة الخمر، ونحت الأصنام والطنابير والملاعب، وإنما الإثم في عمله وتسويته، وكذلك لا إثم في العلم بالسحر، وإنما الإثم في العمل به، وأن لا يضر به من لا يحل ضَرّه به.

فليس في إنزال الله إياه على الملكين، ولا في تعليم الملكين مَنْ علماه من الناس إثم، إذ كان تعليمهما من علماه ذلك بإذن الله لهما بتعليمه، بعد أن يخبراه

---

(١) السابق (٢/٤٤٩).
(٢) ينظر: جامع البيان (٢/٤١١).

بأنهما فتنة، وينهياه عن السحر والعمل به والكفر، وإنما الإثم على من يتعلمه منهما ويعمل به، إذ كان الله ـ تعالى ذكره ـ قد نهاه عن تعلمه والعمل به. ولو كان الله أباح لبني آدم أن يتعلموا ذلك، لم يكن مَنْ تَعلمه حَرِجا[(١)]، كما لو يكونا حَرِجَين لعلمهما به إذْ كان علمهما ذلك عن تنزيل الله إليهما [(٢)].

مَنْ علّم السحر؟

الذي علم السحر هما (هاروت وماروت) وهما ملكان من الملائكة ـ على الصواب.

فإن التبس الأمر على بعض الناس وقال: كيف يجوز لملائكة الله أن تُعلِّم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ إنزال ذلك على الملائكة؟

قيل له: إن الله ـ جل ثناؤه ـ عرف عباده جميع ما أمرهم به، وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه. ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم. فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر أن يكون ـ جل ثناؤه ـ علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم ـ كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[(٣)] ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما،

(١) أنكر الشيخ محمود شاكر صحة استعمال (حرج) على وزن (فرج) بمعنى آثم، بناء على إنكار أهل اللغة، ثم قال إنه تركها على حالها فلربما كان خطأ اجتهاد. أو صوابًا علمه هو لم يبلغنا: انظر جامع البيان (٤٢٢/٢).

(٢) المصدر الموضع السابق و (ص:٤٢٣).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

ويجزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما، ويكون الملكان ـ في تعليمهما من علما ذلك ـ لله مطيعين، إذ كانا ـ عن إذن الله لهما بتعليم ذلك مَنْ علماه ـ يعلمان. وقد عُبد من دون الله جماعة من أولياء الله، فلم يكن ذلك لهم ضائرًا، إذ لم يكن بأمرهم إياهم به، بل عُبد بعضهم والمعبود عنه ناه، فكذلك الملكان، غير ضائرهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه، وعظتهما له بقولهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ إذ كانا قد أديا ما أمرا به بقيلهما ذلك[1].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٤٢٥-٤٢٧).

سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ

برَّأَ الله نبيه سليمان من السحر والكفر الذي نسبته إليه اليهود وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر، متزينين عند أهل الجهل في عملهم ذلك، بأن سليمان كان يعمله، فنفى الله عن سليمان ﷺ أن يكون كان[1] ساحرًا أو كافرًا، وأعلمهم أنهم اتبعوا ـ في عملهم بالسحر ـ ما تلته الشياطين في عهد سليمان، دون ما كان سليمان يأمرهم به طاعة الله، واتباع ما أمرهم به في كتابه الذي أنزله على موسى ـ صلوات الله عليه ـ[2].

سليمان والجسد:

لقد ابتُلي سليمان ﷺ وألقي على كرسيه جسد شيطان متمثل بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: إن اسمه آصف. وقيل: إن اسمه آصر. وقيل: إن اسمه حبقيق، ثم رجع سليمان إلى ملكه، بعد ما زال عنه ملكه فذهب[3].

* * *

(١) كذا عبارة ابن جرير (أن يكون كان ساحرًا).
(٢) ينظر: جامع البيان (٢/٤١٢-٤١٣).
(٣) ينظر: جامع البيان (٢١/١٩٦).



الشام ومصر	الشرك	الشهداء

الشام ومصر

تعددت الأقوال في تحديد الأرض المقدسة التي ذكرها الله حكاية عن موسى عليه السلام في قوله: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾[(١)].

فقال قوم: هي الطور وما حوله.

وقال غيرهم: هي الشام.

وقال آخرون: هي أرض أريحا.

وقيل: هي دمشق وفلسطين وبعض الأرْدُن.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدسة ـ كما قال نبي الله موسى ﷺ؛ لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدْرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك[(٢)].

(١) سورة المائدة: الآية ٢١.
(٢) ينظر: جامع البيان (١٠/١٦٧-١٦٨).

الشرك والمشركين

يراد بالشرك: صرف العبادة أو شيء منها لغير الله ـ تعالى ـ وكل مشرك كافر وليس العكس.

الرياء والشرك:

وردت عدة أحاديث وآثار تبين العلاقة بين الرياء والشرك، منها ما أخرجه ابن جرير بإسناده عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال: «كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ الشركَ الأصغَر الرياء»، وعن أبي السلِيل قال: «قلت لسعيد بن المسيب: الرجل منا يفعل المعروف يريد به الله وما عنده، وهو على ذلك يحب أن يُذكر معروفه ذلك؟ فقال: أتحب أن تُمقت؟ قلت: لا! قال: فإذا فعلت لله شيئًا فأخلصه لله، ولا تشركن به أحدًا من الناس».

فينبغي أن يقصد المرء بجميع أفعاله المطلقة والمأمور بها العمل على الوجه الذي يكون لله ـ تعالى ـ في العمل بها على ذلك الوجه رضى، حتى يكون العبد مثابًا عليها من حال عمله إياها.. وأن لا يعملها مريدًا بها عملها على الوجه الذي له فيه السخط والكراهة لكيلا يكون مستحقًا من الله بها العقوبة والعذاب الأليم[١].

الجاهلية والشرك:

والجاهلية: هي عبادة الأوثان، وعُبادها هم أهل الشرك، وأحكامهم هي أحكام الجاهلية[٢].

والشيطان هو الذي يدعو إلى عبادة غير الله من الأوثان والأنداد، حتى

(١) تهذيب الآثار، مسند عمر بن الخطاب، السفر الثاني: ٧٩٦-٨٠٣ (١١١٩ و ١١٣٠).
(٢) ينظر: جامع البيان (١٠/٣٩٤).

يَنْسُكوا (يذبحوا) له، ويحرِّموا ويحللوا له، ويشرعوا غير الذي شرعه الله لهم فيتبعوه. ويخالفوا شرع ربهم. والشيطان هو الذي يزين لهم الضلال والكفر حتى يزيلهم عن منهج الطريق. ويغويهم عن قصد السبيل[(١)].

وقد كذّب الله أهل الجاهلية المشركين، عندما ادَّعوا فقالوا: لو أراد الله منا الإيمان به، وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة... ما جعلنا لله شريكًا، ولا جعل ذلك آباؤنا من قبلنا... لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك، فإما إن يضطرنا إلى الإيمان وترك الشرك به، وإما عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام... ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام، واتخاذ الشريك له في العبادة والأنداد.

قال الله مكذبا لهم، ورادًا عليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم في ذلك: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا﴾[(٢)] فكما كذب هؤلاء المشركون ما جاءهم به محمد ﷺ من الحق والبيان، كذبك قبلِهم من فسقة الأمم الذين طغوا على ربهم، ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله فغضب عليهم، فأحل بهم بأسه فذاقوه، فعطبوا بذوقهم إياه، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة، وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا ما جاءهم به رسولهم من عند ربهم[(٣)].

وطالب الله ﷻ هؤلاء في دعواهم بالدليل العلم اليقين، من خير مَنْ يقطع خبره العذر، أو حجة توجب اليقين، فيظهروا ذلك ويبينوه، كما بين الله خطأ قولهم ولعنهم، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع.. بل إنهم فيما

---

(١) السابق (٩/٢١٢-٢١٤).

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤٨.

(٣) ينظر: جامع البيان (١٢/٢٠٨-٢٠٩).

يفعلون من عبادة الأوثان والأصنام، وغيرها، وفي قول ما يقولون.. ما يقولون ذلك ويفعلونه إلا ظنًّا وحسبانًا أنه حق، وأنهم على حق، وهو باطل، وهم على باطل... وهم إنما يتقولون الباطل على الله ظنًّا بغير يقين علم، ولا برهان واضح[١].

هل أشرك آدم وحواء؟

أجمع الحجة من أهل التأويل على أن آدم وحواء ـ عليهما السلام ـ عنيا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[٢]، وأنهما جعلا لله شريكًا في الاسم لا في العبادة[٣]. حيث إنهما لم يدينا بأن ولدهما من عطية إبليس، وإنما كانا يدينان ـ لا شك ـ بأن ولدهما من رزق الله وعطيته، ثم سمياه (عبد الحارث) فجعلا لإبليس فيه شركًا في الاسم فحسب[٤].

الشرك والإسراف على النفس:

أولى الأقوال بالصواب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[٥] الآية أنها عامة لجميع من أسرف على نفسه، من أهل الإيمان والشرك. فإن قيل: فهل يغفر الله الشرك؟ قيل: نعم! إذا تاب منه المشرك، فلا يغفره الله إلا بعد توبة، فأما ما عداه، فإن صاحبه في مشيئة ربه، إن شاء الله تفضل عليه، فعفا له عنه، وإن شاء عدل عليه فجازه به[٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٢/٢٠٨-٢٠٩).
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٠.
(٣) ينظر: جامع البيان (١٣/٣١٥).
(٤) المرجع السابق (١٣/٥١٦).
(٥) سورة الزمر: الآية ٥٣.
(٦) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٤/١٦-١٧).

الموت على الشرك:

كان هناك رجل اسمه (طعمة بن الأبيرق) ارتد بعد ما أسلم، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة. مفارقًا رسول الله ﷺ ودينه، ثم مات على شركه، فأخبر الله ﷻ: أن (طعمة) لولا أنه أشرك بالله، ومات على شركه، لكان في مشيئة الله على ما سلفت من خيانته ومعصيته، وكان أمره إلى الله، في عذابه والعفو عنه، وكذلك حكم كل من اجترم جرمًا، فإلى الله أمره، إلا أن يكون جرمه شركًا بالله وكفرا، فإنه ممن حَتْم عليه أنه من أهل النار، إذا مات على شركه، فإذا مات على شركه، فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار[١].

المشركون في الآخرة:

وفي الآخرة حين يعاين المشركون عذاب الله، يتمنون الإيمان بما كانوا به في الدنيا يكفرون، ولا سبيل لهم إليه، كما قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾[٢] الآية حيث أفعال هؤلاء المشركين من الأمم السابقة حيل بينهم وبين الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعاينتهم بأسه، فلم يُقْبل منهم الإيمان في ذلك الوقت، كما لم يُقْبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم[٣].

الأمن لمن يشرك:

فَصَل الله بين إبراهيم عليه السلام وقومه، وبين أن الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلصوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم (أي بشرك) ولم يشركوا في عبادته شيئًا، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصًا، أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته

---

(١) المرجع السابق (٩/٢٠٦).

(٢) سورة سبأ: الآية ٥٤.

(٣) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٢/١١٢-١١٣).

ربه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان، والأصنام، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم، أمّا في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله [1].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (١١/٤٩٢).

الشهداء

أجر من مات في سبيل الله:

اختلف قوم من أصحاب رسول الله ﷺ في حكم من مات في سبيل الله.

فقال بعضهم: سواء المقتول منهم والميت.

وقال آخرون: المقتول أفضل[١].

فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾[٢] الآية، يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله، والمقتول فيها في الثواب عنده[٣].

حياة الشهداء البرزخية:

ليس الشهداء بأموات لا يحسون شيئًا ولا يلتذّون ولا يُنعمون، فهم أحياء عند الله، متنعمون في رزقه، فرحون مسرورون بما آتهم الله من كرامته وفضله، وما حباهم به من جزيل ثوابه، وعطائه[٤] كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٥].

وقد أورد الإمام ابن جرير أحاديث وروايات كثيرة في هذا المعنى[٦].

---

(١) جامع البيان (١/٣٧٧).
(٢) سورة الحج: الآية ٥٨.
(٣) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٧/١٩٤).
(٤) ينظر: جامع البيان (٧/٣٨٤).
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٦٩-١٧٠.
(٦) وعددها إحدى وعشرون رواية. من (ص:٣٨٤-٣٩٥) ج٧، ت: شاكر ط دار المعارف بمصر.

وهؤلاء الشهداء قد أمنوا عقاب الله، وأيقنوا برضاه عنهم، فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا، ولا هم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها، للخَفْض[١] الذي صاروا إليه والدعة والزلفة[٢]، [٣].

* * *

(١) الخفض: لين العيش وسعته وخصبه.

(٢) الزلفة: القربة والدرجة والمنزلة عند الله ـ تعالى ـ.

(٣) ينظر: جامع البيان (٣٩٦/٧).

(الصاد)

صبغة الله ﷻ

صبغة الله

قال قوم بأن (صبغة الله) المذكورة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ بأنها دين الله، وقال آخرون بأنها فطرة الله، وابن جرير يرجِّح أن المراد هو الإسلام.. وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تُنصر أطفالهم، جعلتهم في مآلهم، تزعم أن ذلك لها تقديس، بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية.

فقال الله ـ تعالى ـ إذ قالوا لنبيه محمدًا ﷺ وأصحابه والمؤمنين به: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا﴾ قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى! بل اتبعوا ملة إبراهيم، صبغة الله التي هي أحسن الصبغ، فإنها الحنيفية المسلمة، ودعوا الشرك بالله، والضلال عن محجة هداه[1].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (٣/١١٧-١١٩).

(الطاء)

الطاغوت

الطاغوت

أصل الطاغوت (الطغووت) من قول القائل: طغا فلان: يطغو، إذا عدا قدره، فتجاوز حده كـ(الجبروت) من (التجبر) و(الخلبوت) من (الخَلب) أي الخداع والمكذب، ونحو ذلك من الأسماء التي تأتي على تقدير (فعلوت) بزيادة الواو والتاء، ثم نُقلت لامه[1] فجعلت له عينًا، وحولت عينه، فجعلت مكان لامه، كما قيل: جذب وجبذ وصاعقة وصاقعة.

فالصواب من القول في (الطاغوت) أنه كل ذي طغيان على الله، فيُعْبد من دونه، إما بقهر لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنسانًا كان ذلك المعبود، أو أي شيء[2].

الجبت والطاغوت:

و(الجبت والطاغوت) اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها، كانت معظمة بالعبادة

(١) أي لام (الطاغووت).
(٢) جامع البيان (٥/٤١٩).

من دون الله: فقد كانت جبوتًا وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولًا منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف؛ لأنهما كان مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ﷺ، فكانا جبتين وطاغوتين قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾[1] الآية.

وورد عن سعيد بن جبير أنه قال: (الجبت): الساحر، بلسان الحبشة، و(الطاغوت) الكاهن[2].

* * *

(١) سورة النساء: الآية ٥١.
(٢) جامع البيان (٨/٤٦٣-٤٦٥).



العبادة	عيسى بن مريم عليه السلام

العبادة

معنى العبودية:

معنى العبادة: الذل لله بالطاعة والخشوع والاستكانة، والخضوع له بها، وإفراده بالربوبية، وإخلاص الخضوع والذلة له، بالانتهاء إلى أمره، والانزجار عن نهيه، وأن لا يجعل له في الربوبية والعبادة شريكًا[1].

خلق الثقلين للعبادة:

فمن أهم غايات خلق الثقلين عبادة الله - تعالى - والتذليل لأمره، كما قال عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2] هذا هو التفسير الراجح لمعنى هذه الآية، فإن قيل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم؛ لأن قضاءه جار عليهم، لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به، في العمل بما أمروا به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه[3].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/١٦١) و (٨/٣٣٣).

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٧/١٢).

سجود الكائنات:

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[1] فأخبر الله في هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب، ومن ناحية إلى ناحية، كما قال ابن عباس: يقال من ذلك: سجدت النخلة: إذا مالت، وسجد البعير، وأسجِد: إذا أميل للركوب[2].

وأصل السجود الانحناء لمن سجد له مُعظمًا بذلك، فكل مُنحنٍ لشيء تعظيمًا له فهو (ساجد) ومنه قول الشاعر:

بِجَمْعٍ تَضِلُ البُلْقُ فِي حَجَراتِه ... ترى الأُكْمَ منه سجدًا للحوافر

ويقال للراكع (ساجد) لأنه منحنٍ، وإن كان الساجد أشد انحناءً منه[3].

* * *

(١) سورة النحل: الآية ٤٨.

(٢) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٤/١١٦).

(٣) ينظر: جامع البيان (٢/١٠٤-١٠٥).

عيسى بن مريم عليه السلام

هو رسول الله، الذي لم يجئ بعده رسول سوى رسولنا محمد ﷺ.

تسميته بالمسيح:

سماه الله ـ (مسيحًا) كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[(١)] وأصل (المسيح): (الممسوح). صُرف من مفعول إلى فعيل.

وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب، وقيل: مسح من الذنوب والأدناس التي تكون في الآدميين، كما يمسح الشيء من الأذى الذي يكون فيه، فيطهر منه، ولذلك قال مجاهد ومن قال مثل قوله: المسيح: الصدق.

وقد زعم بعض الناس أن أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية: (مشيحًا) فعربت فقيل: المسيح، كما عرب سائر أسماء الأنبياء التي في القرآن، مثل: إسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى. وهذا زعم غير صحيح، لأنه اسم: إسماعيل وإسحق وأمثالها: أسماء لا صفات، و(المسيح) صفة، وغير جائز أن تخاطب العرب وغيرها من أجناس الخلق، في صفة شيء إلا بمثل ما تفهم عمن خاطبها، ولو كان (المسيح) من غير كلام العرب، ولم تكن العرب تعقل معناه ما خوطبت به.

وأما (المسيح الدجال):

فهو الممسوح العين اليمنى أو اليسرى كالذي روي عن رسول الله ﷺ[(٢)].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٢) ينظر: جامع البيان (٩/٤١٧-٤١٨).

ودلالته عليه السلام:

هي كما قص الله ـ تعالى ـ في سورة مريم[١] أن أمه مريم بنة[٢] عمران اعتزلت أهلها وانفردت عنهم، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام فخافت مريمُ الرسولَ، إذ تمثل لها بشرًا سويًا، وظنته رجلًا يريدها على نفسها، فاستجارت منه بالله الرحمن، أن ينال منها ما حرمه الله عليه، إن كان ذا تقوى له يتقي محارمه ويجتنب معاصيه، فأخبرها الرسول: إنما أنا رسول ربك يا مريم إليك، ليهب الله لك غلامًا طاهرًا من الذنوب فسألت: هل هذا من قبل زوج تتزوجه، فترزق منه، أم يبتدئ الله فيها خلقه ابتداءً، وهي لم يمسسها بشر من ولد آدم بنكاح حلال، ولم تكن بغت ففعلت ذلك من الوجه الحرام فحملته من زنا! فقال لها جبريل: هكذا الأمر كما تصفين ولكن ربك قال: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي خَلق الغلام الذي أراد الله أن يهبه لك لا يتعذر عليه ـ تعالى ـ خلقه. وهِبَتُه لك من غير فحل يفتحلك، ولكن يجعله علامة وحجة على الخلق، وهو رحمة لمريم ولمن آمن به وصدقه، وخلقه كان أمرًا قد قضاه الله، ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن من مريم.

فنفخ الله في مريم بالغلام، فاعتزلت بالذي حملته وتنحت به مكانًا نائيًا، فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة، وكان ذلك في أدنى أرض مصر، أو بأرض الشام، فتمنت الموت استحياءً من الناس، فناداها ابنها عيسى أن لا تحزن، لما أعطاها الله إياه من الماء والرطب والولد.

فلما جاءت قومها وطلبوا منها الكلام، أشارت إلى عيسى: أن كلموه! فظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم، فقال عيسى ـ متكلمًا عن أمه وهو في حجرها ـ ما ذكره

---

(١) من الآية ١٦ -٣٥.
(٢) هذا هو الرسم الصحيح الأسلوب والأجود بالنسبة بين البنت وأبيها (مريم بنة عمران) خلاف ما هو معمول به في بلادنا هكذا (مريم بنت عمران).

الله ـ تعالى ـ عنه[١] فكان في كلامه براءة أمه مما قرنها به المفترون عليها، وحجة له على نبوته[٢].

عيسى وكلمة الله :

لقد بشَّرت الملائكة مريم بعيسى عن الله ﷻ برسالته وكلمته، التي أمرها أن تلقيها إليها: أن الله خالق منها ولدًا من غير بعل ولا فحل، ولذلك قال ﷻ: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾[٣] فذكر، ولم يقل (اسمها) فيؤنث، و(الكلمة) مؤنثة، لأن (الكلمة) غير مقصود بها قصدُ الاسم الذي هو بمعنى (فلان) وإنما هي بمعنى البشارة، فَذُكرت كنايتها، كما تذكر كناية (الذرية) و(الدابة) والألقاب[٤].

عيسى عبد الله ورسوله وليس ابن الله :

الله الذي خلق السماوات والأرض، وهو مالكهما، فكيف يكون المسيح ولدًا لله، وهو لا يخلو: إما أن يكون في بعض هذه الأماكن، وإما في السماوات، وإما في الأرض، ولله ملك ما فيهما. ولو كان المسيح ابنا لله ـ كما يزعم النصارى ـ لم يكن كسائر ما في السماوات والأرض من خلقه وعبيده، في ظهور آيات الصنعة فيه[٥].

وهو لو كان كما قال هؤلاء الملحدون فيه لم يكن ليتقلب في الأحداث، ويتغير بمرور الأزمنة عليه والأيام، من صغر إلى كبر، ومن حال إلى حال، فلو كان كما قالوا لم يكن شيء من ذلك جائزًا عليه[٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٦/٥٩-٧٩).
(٢) السابق (٦/٤١٨).
(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٥.
(٤) الألقاب: الكناية والضمير، في اصطلاح الكوفيين كما يقول العلامة محمود شاكر.
(٥) ينظر: جامع البيان (٢/٥٣٧-٥٣٨).
(٦) السابق (٦/٤١٨).

عيسى دينه الإسلام:

في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[(١)] في ذلك خبر منه ﷻ أن الإسلام دينه الذي ابتعث به عيسى والأنبياء قبله، لا النصرانية ولا اليهودية، وتبرئة من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها[(٢)]، كما برأ الله إبراهيم من سائر الأديان غير الإسلام. وذلك احتجاج من الله ـ تعالى ـ لنبيه ﷺ على وفد نجران[(٣)].

تأييده بروح القدس:

أَيَّد الله عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ بروح القدس كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾[(٤)]، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾[(٥)]. فلو كان الذي أيده الله به هو الإنجيل ـ كما يقول بعضهم ـ لكان ذلك تكرارًا لا معنى له ـ وحاشاه ـ تعالى ـ وحاشا كتابه الكريم ـ هذا بالإضافة إلى أن جميع كتب الله ـ تعالى ـ التي أوحاها إلى رسله هي روح منه ـ تعالى ـ لأنها تحيا بها القلوب الميتة،

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/٤١٨).

(٢) كثير من المسلمين يطلقون اسم (مسيحي) على الواحد من النصارى.. وهذا فيه خطأ عقدي ظاهر، حيث إن هذه النسبة تعني النسبة للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام مع أن هؤلاء الذين ينسبون أنفسهم أو أعمالهم إلى المسيح لا تصح نسبة ذلك إلى الدين الذي جاء به؛ لأنه تعرض للتحريف والتغيير، ولو فرضنا أنه لم يحذف، بأن أولئك لو اتبعوا المسيح حقيقة لأسلموا، كما بشرهم بالرسول الذي بعده، وأخذ عليهم العهد بالإيمان به. ففي النسبة إليه مجانبة للصواب، وتشريف زائف لهم.

(٣) ينظر: جامع البيان (٦/٤٥١-٤٥٢).

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٥) سورة المائدة: الآية ١١٠.

وتنتعش بها النفوس المولية، وتهتدي بها الأحلام الضالة[(١)].

لم يقتل عيسى ولم يصلب:

يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام قد قتل وصلب، وهم واليهود يقرون بذلك كذبًا على عيسى في دعواهم وزعمهم.

فقد أخبر الله أنه قابض لعيسى من الأرض، ورافعه إليه ومطهره من الذين كفروا فجحدوا نبوته، ومعلوم أنه لو أماته الله عز وجل. إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم، كما قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ الآية[(٢)] حيث تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض...**» مدة ذكرها، اختلفت الرواية من مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون، ويدفنونه[(٣)]،[(٤)].

تصديق الجميع بعيسى:

جميع أهل الكتاب سيصدقون بعيسى، إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية ـ دين إبراهيم عليه السلام ـ وهذا سيحدث قبل موت عيسى عليه السلام وسوف يشهد عليهم ـ يوم القيامة ـ بتكذيب من كذبه منهم، وتصديق من صدقه منهم، فيما آتاهم به من عند الله، وبإبلاغه رسالة ربه[(٥)].

* * *

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٣٢١-٣٢٢) و(٥/٣٧٩).
(٢) سورة الروم: الآية ٤٠.
(٣) ينظر: جامع البيان (٦/٤٥٥-٤٥٨).
(٤) يراجع كتاب: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، للشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي ـ ١٣٥٢هـ تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة. ط مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٣٨٥هـ.
(٥) ينظر: جامع البيان (٩/٣٧٩ و٣٩٠).

الغين

الغيب

الغيب

الغيب:

هو ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، وما ذكر الله في القرآن، من الثواب والعقاب والبعث، والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله، وجميع ما كانت العرب لا تدين به في جاهليتها، مما أوجب الله ـ جل ثناؤه ـ على عباده الدينونة به ـ دون غيرهم ـ[1].

ومن الغيب ما تحويه ضمائر قلوب العباد[2]، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[3].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (١/٢٣٨).
(٢) ينظر: جامع البيان (٧/٤٢٧).
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

الفاء

الفترة من الرسل	الفطرة

الفترة من الرسل

الفترة: الفعلة، من قول القائل: فتر هذا الأمر، يفتر فتورا: وذلك إذا هدأ وسكن، وكذلك الفترة من الرسل: يراد بها: السكون، أي سكون مجيء الرسل، وذلك انقطاعها.

قدر مدة الفترة:

قال قتادة: أنها خمس مئة وستون سنة.

وروى عنه: أنها ست مئة سنة.

وعن معمر: أنها خمس مئة سنة وأربعون سنة.

وعن الضحاك: أنها أربع مئة سنة وبضع وثلاثون سنة.

وهي المدة التي بين عيسى ومحمد ﷺ.

* * *

الفِطرة

يمكن تعريف الفطرة: بأنها بِذرة الإيمان والتوحيد والهداية وأصلها في التركيب المعنوي لكل إنسان.

فلقد استخرج الله ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض، شهادتهم بذلك وإقرارهم به كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1].

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان (يعني عرفة) فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلًا، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟﴾ الآية إلى: ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[2].

وقد شهد بنو آدم بعضُهم على بعض بذلك، وهذا ما يدل عليه ظاهر النص[3].

* * *

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٢) الشيخ محمود شاكر يصحح إسناد هذا الحديث، ويتعجب من تعليل ابن كثير له، بسبب كثرة رواياته الموقوفة، وليس ذلك بعلة لأن الرفع زيادة من ثقة، فهي مقبولة صحيحة.

(٣) ينظر: جامع البيان (١٣/٢٢٢-٢٥٠).

القاف

القدر	القدرية	قرابة الرسول	القرآن	القيامة

القدر

هو الركن السادس من أركان الإيمان، ومعروف لدي أن له أربع مراتب: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

دليله من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[١] والمعنى: إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدَّرناه وقضيناه، وفي ذلك ـ أيضًا ـ توعد للمجرمين المكذبين بالقدر، والكافرين به[٢].

لا مصيبة إلا بقدر:

لم تصب أحدًا من الخلق مصيبة إلا بإذن الله، أي: إلا بقضاء الله، وتقديره ذلك عليه.. فمن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله، يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه[٣].

---

(١) سورة القمر: الآية ٤٩.

(٢) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٧/١١٠).

(٣) السابق (٢٨/١٢٣).

كل ما يصيب الإنسان فهو من عند الله:

كل ما يصيب الإنسان من خير وشر، أو ضر وشدة ورخاء، فمن عند الله، لا يقدر على ذلك غيره، ولا يصيب أحدًا سيئةٌ إلا بتقديره، ولا ينال رخاء ونعمة إلا بمشيئته.. ففي قوله ﷻ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1] إعلام من الله عباده أن مفاتح الأشياء كلها بيده. لا يملك شيئًا منها أحد غيره[2].

السيئات من النفس:

ما يصيب الإنسان من شدة ومشقة وأذى ومكروه إلَّا من نفسه، بسبب ذنب اكتسبته النفس فاستوجبت ذلك به، وإن كان الخلق كله خلق الله، والتقدير تقديره ﷻ[3].

الهدى والضلال بقدر الله:

الذين كذبوا بحجج الله وإعلامه وأدلته، صُمٌّ عن سماع الحق، بكم عن القول به، حائرون في ظلمة الكفر، مرتطمون فيها، لا يبصرون آيات الله فيعتبرون بها، فيعلمون أن الذي خلقهم وأنشأهم فدبرهم وأحكم تدبيرهم، وقدرهم أحسن تقدير، وأعطاهم القوة، وصحَّح لهم آلات أجسامهم.. يعلمون أنه لم يخلقهم عَبَثًا، ولم يتركهم سدى، ولم يعطهم ما أعطاهم من الآلات إلا لاستعمالها في طاعته وما يرضيه، دون معصيته وما يسخطه.. فهم لحيرتهم في ظلمات الكفر، وترددهم في غمراتها، غافلون عما أثبته الله لهم في أم الكتاب، وما هو بهم فاعل يوم يحشرون إليه مع سائر الأمم[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.
(٢) ينظر: جامع البيان (٨/٥٥٧).
(٣) ينظر: جامع البيان (٨/٥٥٨).
(٤) المرجع السابق (١١/٣٥٠).

المحو والإثبات وأم الكتاب:

سأل المشركون رسول الله ﷺ الآيات فتوعدهم الله بالعقوبة، وتهددهم بها فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[(١)]، فأعلمهم ـ سبحانه ـ أن لقضائه فيهم أجلًا مثبتًا في كتاب، هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل، ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه، أو اتضاعه من رفعه، أو هلاك مال، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محوه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأُكْله[(٢)]، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه[(٣)].

أما (أم الكتاب) فأولى الأقوال فيه بالصواب أنه أصل الكتاب وجملته. وذلك أن الله أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم عقَّب ذلك بقوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فكان بينًا وظاهرًا أن معناه: وعنده أصل المثبت منه والممحو وجملته في كتاب لديه[(٤)].

ما قضى الله كائن حتمًا:

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[(٥)] يقول: وكان ما قضى الله من قضاء مفعولًا: أي كائنًا لا محالة. والمقصود بذلك ومناسبته: أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضيًا مفعولًا كائنًا[(٦)].

---

(١) سورة الرعد: الآيات ٣٨-٣٩.
(٢) الأكل بضم الهمزة وسكون الكاف: الحظ من الدنيا، من البقاء والرزق.
(٣) ينظر: جامع البيان (١٦/٤٨٨).
(٤) المرجع السابق (١٦/٤٩١-٤٩٢).
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.
(٦) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٢/١٤).

القدرية

ظهرت القدرية في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، الذين يرون (أنه لا قدر، وأن الأمر أُنُف)[١]. أي أن الإنسان يملك الحرية المطلقة في أن يفعل ما يشاء، دون تقييد لحريته بإرادة الله عز وجل، ومنهم المعتزلة وبعض الشيعة وغيرهم، ويستدلون بالنصوص التي تنسب الفعل للإنسان، وتثبت له مشيئة وإرادة واختيارًا مثل قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[٢] هذا مع تجاهلهم أو تحريفهم لمعاني النصوص الأخرى التي تبين العلاقة بين إرادة الإنسان واختياره وقدر الله وتدبيره، وهي كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٣].

والإمام ابن جرير يناقش هؤلاء وأضرابهم، ويقرر عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال نصوص القرآن والحديث والآثار الشارحة لهما.

رد على المفوض القدرية:

في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٤] أَمْرٌ للمؤمنين بأن يسألوه المعونة على العبادة، وهذا أوَّلُ دليل على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر[٥]، الذين أحالوا أن يأمر الله أحدًا من عباده بأمر، أو يكلفه فرض عمل، إلا بعد إعطائه المعونة على فعله وعلى تركه، ولو كان الذي قالوا من ذلك كما قالوا، لبطلت الرغبة إلى الله في المعونة على طاعته. إذا كان ـ على قولهم، مع وجود الأمر

---

(١) أي مستأنف.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.
(٣) سورة الإنسان: الآية ٣٠.
(٤) سورة الفاتحة: الآية ٥.
(٥) هم نفاة القدر من المعتزلة أو الإمامية.

والنهي والتكليف ـ حقًّا واجبًا على الله للعبد إعطاءه المعونة عليه، سواء سأله ذلك عبده، أو ترك مسألة ذلك، بل تَرْكُ إعطائه ذلك عندهم منه جور، ولو كان الأمر في ذلك على ما قالوا، لكان القائل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إنما يسأل ربه ألا يجور.

وفي إجماع أهل الإسلام جميعًا ـ على تصويب قول القائل: «اللَّهُمَّ إنا نستعينك»، وتخطئتهم قول القائل: «اللَّهُمَّ لا تجر علينا» ـ دليل واضح على خطأ ما قال الذين ذُكر مذهبهم، إذ كان تأويل قول القائل عندهم: اللهم إنا نستعينك: اللهم لا تترك معونتنا التي تركك إياها جور منك ـ تعالى الله وتقدس ـ[1].

إضافة الفعل إلى فاعله لا يلتزم نفي القدر:

وقد يظن بنص القدرية أن في وصف الله ـ تعالى ـ للنصارى بالضلال في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[2] إضافته الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه، وتركه وصفهم بأنهم المضللون ـ كالذي وصف به اليهود أنهم المغضوب عليهم ـ قد يظن هؤلاء أن فيه دلالة على ما قالته القدرية، وهذا جهل بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه.

ولو كان الأمر على ما يظنه هؤلاء، لوجب أن يكون شأن كل موصوف بصفة أو مضاف إليه فعل، لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره، وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك لغيره سبب، فالحق فيه أن يكون مضافًا إلى مسببه، ولو وجب ذلك، لوجب أن يكون خطأ قول القائل: «تحركت الشجرة» إذا حركتها الريح، «واضطربت الأرض» إذا حرَّكتها الزلزلة، وما أشبه ذلك.

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/١٦٢-١٦٣).
(٢) سورة الفاتحة: الآية ٧.

والقرآن نزل بلسان العرب، ومن شأن العرب إضافة الفعل إلى مَنْ وُجِد منه ـ وإن كان مسببه غير الذي وُجد منه ـ أحيانًا، وأحيانًا إلى مسببه، وإن كان الذي وُجد منه الفعل غيره، فكيف بالفعل الذي يكتسبه العبد كسبًا، ويوجده الله ـ جل ثناؤه ـ عينًا مُنشأة، بل ذلك أحرى أن يضاف إلى مكتسبه، كسبًا له، بالقوة منه عليه، والاختيار منه له، وإلى الله ـ جل ثناؤه ـ بإيجاد عينه، وإنشائها تدبيرًا[1].

القدرة والأسباب:

هذا، وإن في قوله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2] فيه أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوض الأمور إلى خلقه في أعمالهم، فلا صنع لهم في أفعالهم، وأنه سوّى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر، نظير ما زين من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به، وزين لأهل الكفر به من الإيمان به نظير الذي زين منه لأنبيائه وأوليائه.

وفي إخباره ـ جل ثناؤه ـ أنه زيَّن لكل عامل منهم عمله، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخصَّ أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان به والطاعة[3].

وعلى هذا فالصواب أن جميع أفعال العباد وحسناتهم وسيئاتهم.. أن جميع ذلك من عند الله ـ تعالى ـ والله سبحانه مقدره ومدبره، لا يكون شيء إلا بإذنه، ولا يحدث شيء إلا بمشيئته، له الخلق والأمر كما يريد.

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/١٩٥-١٩٧).
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.
(٣) ينظر: جامع البيان (١٢/٩٢-٩٣).

يقول ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم الجوزجاني، حدثنا ابن أبي حازم، حدثني أبي، عن ابن عمر قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[١].

وقد روى في (تهذيب الآثار) أحاديث كثيرة مرفوعة في ذم القديرة منها: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**صِنفَانُ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا في الإِسلامِ نَصِيبٌ: المرجئة والقدرية**»[٢].

* * *

---

(١) صريح السنة (ص:٢١-٢٢)، وهذا الأثر روي مرفوعًا كما هو عند أبي داود برقم (٤٦٩١) والحاكم (١/ ٥٨) والبيهقي في الاعتقاد (٦٤٦) ومختصر أبي داود للمنذري (٧/ ٥٨).

(٢) تهذيب الآثار، مسند ابن عباس، السفر الثاني: ٦٥٣ (٩٦٨).

قرابة الرسول ﷺ

وجّه الله رسوله محمدًا ﷺ أن يُعْلِم قريشًا: أنه لا يسألهم أجرًا على دعوته إياهم إلى الحق، ونصيحته لهم، إلا موادته في قرابته منهم، وأن يصلوا الرحم التي بينه وبينهم.

وليس معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] ليس معناه: إلا أن توادوا قرابتي. أو: إلا أن تقربوا إلى الله، كما يقول بذلك بعضهم، لأنه لو كان ذلك كذلك لم تدخل (في) في الكلام، حيث يكون ـ والحال ما ذكر ـ ليس لدخولها في الكلام وجه معروف[2].

هذا، وإن ابن جرير قد فسر قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[3] بأن المَعْنِيَّ: جبريل عليه السلام وقد أعرض عما فسره به بعضهم بأنه: علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4].

فهذا مما ينفي عن ابن جرير تهمة التشيع التي ذكرت عنه[5].

* * *

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.
(٢) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٥-٢٦).
(٣) سورة هود: الآية ١٧.
(٤) ينظر: جامع البيان (١٥/٢٧٢-٢٧٦).
(٥) كما ذكر ذلك العلامة الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٧).

القرآن

قال ابن جرير: إن من جسيم ما خصَّ الله به أمة نبينا محمد ﷺ من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة السنية، حفظه ما حفظ عليهم ـ جل ذكره ـ من وحيه وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم ﷺ دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة، وحجة بالغة، أبانه به من كل كاذب مفتر، وفصل به بينهم وبين كل جاحد وملحد، فرق به بينهم وبين كل كافر ومشرك، الذي لو اجتمع جميع مَنْ بين أقطارها، من جنها وإنسها، وصغيرها وكبيرها، على أن يأتوا بسورة من مثله، لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، فجعله لهم في دجى الظلم نورًا ساطعًا، وفي سُدَفي[1] الشبه شهابًا لامعًا، وفي مظلة المسالك دليلًا هاديًا، وإلى سبل النجاة والحق حاديا، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] حرسه بعين منه لا تنام، وحاطه بركن منه لا يضام، لا تنهى على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه، ولا يجوز عن قصد المحجة تابعة، ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه، من اتبعه فاز وهدي، ومن حاد عنه ضل وغوى، فهو موئلهم الذي عند الاختلاف يئلون، ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعقلون، وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم التي إليها يحتكمون، وفصل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضى به يصدرون، وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون[3].

---

(١) السداف: جمع سدفة وهي ظلمة الليل يخالطها بعض الضوء، تكون في أول الليل وآخره، ما بين الظلمة إلى الشفق، وما بين الفجر إلى الصلاة.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٦.

(٣) جامع البيان (١/٥)-٦.

لو كان القرآن من عند غير الله:

لو تأمل الناس ـ الذين يُبيتُون غير ما يقوله لهم رسول الله ﷺ ـ كتاب الله، لعلموا حجة الله عليهم في طاعة الرسول، واتباع أمره، وأن الذي جاءهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعض عن فساد بعض[1].

تحدي الله لهم بالقرآن:

احتج الله ـ تعالى ـ على مشركي العرب وكل كفار أهل الكتاب وضلالهم أن يأتوا بسورة من مثله، فإذا عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله ـ وهم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والذرابة[2]، فقد علموا أن غيرهم أعجز منهم عما عجزوا عنه، فيتقرر أن محمدًا ﷺ لم يتقوله ولم يختلقه، لأن ذلك لو كان منه اختلافًا وتقولًا لم يعجزوا وجميع الخلق عن الإتيان بمثله، لأن محمدًا ﷺ لا يعد أن يكون بشرًا مثلكم، وفي مثل حالكم في الجسم وبسطة في الخلق وذرابة اللسان فيمكن أن يظن به اقتدار على ما عجزتم عنه، أو يتوهم منهم عجز عما اقتدر عليه.

وقد فسرت السورة التي من مثله: أي من مثل هذا القرآن، وقيل: من مثل محمد من البشر؛ لأن محمدًا بشر مثلهم، ولكن الأوّل هو الصحيح، وهو ما قاله مجاهد وقتادة: لأن السورة لمحمد بنظير ولا شبيه.. فإن قيل: ما دام الأمر كذلك فهل للقرآن من مثل؟ فيقال: إنه لم يعن به: ائتوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني[3] التي باين بها سائر الكلام غيره، وإنما عنى: ائتوا بسورة من مثله في

---

(١) ينظر: جامع البيان (٨/٥٦٧).

(٢) الحده في كل شيء، ويقال ذرب الرجل ذربًا وذرابة: فصح وصار حديد اللسان فهو ذرب اللسان.

(٣) الإعجاز في التأليف والمعاني حاصل في القرآن، مثل الإعجاز التشريعي، والإعجاز العلمي.

البيان، لأن القرآن أنزله الله بلسان عربي، فكلام العرب - لا شك - له مثل في معنى العربية، فأما في المعنى الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين، فلا مثل له من ذلك الوجه ولا نظير ولا شبيه(١).

نسبة (الحمد لله) إلى الله:

قد يقول قائل: ما معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ أحَمِدَ الله نفسه - جل ثناؤه - فأثنى عليها، ثم علمناه لنقول ذلك، كما قال ووصف به نفسه؟ فإن كان ذلك كذلك، فما وجه قوله - تعالى ذكره - إذًا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهو - عز ذكره - معبودٌ لا عابد؟ أم ذلك من قيل جبريل أو محمد ﷺ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلاما!

قيل: بل ذلك كله كلام الله - جل ثناؤه - ولكنه - جل ذكره - حَمِد نفسه، وأثنى عليها بما هو له أهل، ثم علَّم ذلك عباده، وفرض عليهم تلاوته، اختبارًا منه لهم وابتلاء، فقال لهم قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقولوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مما علَّمهم - جل ذكره - أن يقولوه، ويَدينُوا له بمعناه، وذلك موصول بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكأنه قال: قولوا هذا وهذا.

فإن قال: وأين قوله: «قولوا» فيكون تأويل ذلك ما ادّعيت؟

قيل: قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها - إذا عرفت مكان الكلمة، ولم تشك أن سامعها يعرف، بما أظهرت من منطقها، ولاسيما إذا كانت تلك الكلمة التي حذفت، قولا، أو تأويل قول، كما قال الشاعر:

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/٣٧٢-٣٧٥).

وأعلـمُ أنـني سـأكون رَمًـا إذا سـار النـواعِج لا يـسير
فقـال السـائرون: لمـن حَفَـرتم؟ فقـال المخـبرون لهـم: وزيـرا

يريد الشاعر بذلك: فقال المخبرون لهم: الميت وزير، فأسقط الميت إذْ كان قد أتى من الكلام بما دل على ذلك، وكذلك قول الآخر:

ورأيـت زوجـك في الـوغى متقلـدًا سـيفا ورمحـا

وقد علم أن الرمح لا يتقلد به، وإنما أراد: وحاملًا رمحًا، ولكن لما كان معلومًا معناه، اكتفى بما قد ظهر من كلامه، عن إظهار ما حذف منه.. فكذلك ما حذف من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من معنى أمره عباده، أغنت دلالة ما ظهر عليه من القول عند إبداء ما حذف[١].

القرآن كلام الله:

قال ابن جرير في (شرح السنة):

«فأول ما نبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا: القرآن كلام الله وتنزيله، إذ كان من معاني توحيده، فالصواب من القول في ذلك عندنا: أنه كلام الله، غير مخلوق، كيف كتب، وحيث تُلي، وفي أي موضع قرئ، في السماء وجد، وفي الأرض، حيث حفظ في اللوح المحفوظ، كان مكتوبًا، وفي ألواح صبيان الكتاتيب مرسومًا، في حجر نقش، أو ورق خُط، أو في القلب حفظ، وبلسان لفظ، فمن قال غير ذلك... فهو بالله كافر، حلال الدم، بريء من الله، والله بريء منه...»[٢].

(١) ينظر: جامع البيان (١/١٣٩-١٤١).
(٢) شرح السنة (ص:١٨).

مسألة اللفظ:

يقول ابن جرير في (شرح السنة): أما القول في ألفاظ العباد بالقرآن: فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء ـ رحمة الله عليه ورضوانه ـ وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى، أبي عبد الله أحمد بن محمد حنبل رضي الله عنه فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية لقول الله ـ جلَّ اسمه ـ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1] فممن يسمع؟ ! ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول: من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» فهو جهمي، ومن قال: «غير مخلوق» فهو مبتدع. ثم يقول ابن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله إذ لم يكن لنا فيه أمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع[2]، وهو الإمام المتبع ـ رحمة الله عليه ورضوانه ـ[3].

لا قرآن غير الذي في المصاحف:

من ادَّعى أن قرآنا في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه بألسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا، أو اعتقد غير ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه، أو قاله بلسانه وأنيابه، فهو بالله كافر حلال الدم، بريئ من الله والله منه بريئ، بقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[4]، وقال وقوله الحق: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[5]،[6].

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦.

(٢) وقع خطأ مطبعي هنا في الرسالة المطبوعة فصارت هذه الكلمة (المنع).

(٣) شرح السنة (ص:٢٥-٢٦).

(٤) سورة البروج: الآية ٢١-٢٢.

(٥) سورة التوبة: الآية ٦.

(٦) ينظر: رسالة شرح السنة (ص:١٨).

لا عجمة في القرآن:

لا يوجد في القرآن لفظ أعجمي، لأنه غير جائز أن يخاطب الله ـ تعالى ـ أحدًا من خلقه إلا بما يفهمه، وأن يرسل إليه رسالة إلا باللسان الذي يفقهه.. وما ذكر من كلمات بألسنة أخرى وردت في القرآن: (كفل) و(ناشئة الليل) و(أوبي) و(قسورة) و(سجيل) فإنها من الكلمات المشتركة بين الأمم. مثل لو كانت هناك أرض بين سهل وجبل، لها هواء السهل وهواء الجبل، أو بين بر وبحر، لها هواء البر وهواء البحر، لم يمتنع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها سُهْلية[١] جبلية، أو بأنها برية بحرية، إذ لم تكن نسبتها إلى أحد صفتيها نافية حقها من النسبة الأخرى، ولو أفراد لها مُفْرِد إحدى صفتيها، ولم يسلبها صفتها الأخرى. كان صادقًا محقًا[٢].

لا حشو في القرآن:

غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له، بل إن لكل كلمة في القرآن معنى صحيحًا.

(يقول الله) مرادًا بها تفسير قول الله:

يتكرر دائمًا على لسان الإمام ابن جرير جملة: (يقول ـ تعالى ذكره ـ) ويقصد منها تفسيره لكلام الله ـ سبحانه ـ وليس النص نفسه ..[٣] وهذا فيما يظهر لي ـ بعد أن كان مشكلًا علي، وعلى شيخي عبد العزيز المحمد السلمان ـ أنه لا بأس به. مثلما يرد على ألسنة العرب، ورد في السنة كقولهم: (قال بيده هكذا) ويريدون فعل

---

(١) يقول محمود شاكر: النسبة إلى (سَهْل) ـ بفتح فسكون، بضم السين (سُهلي) على غير القياس (١/ ١٧).
(٢) ينظر: جامع البيان (١/ ١٣-١٧).
(٣) على سبيل المثال، ينظر تفسيره (١/ ٣٦٩) و(١١/ ٩٥).

بها هكذا.. فهناك في الكلام محذوف، أغنى عن ذكره قصد المتكلم، ومعرفته بأن السامع أو القارئ لا يخفى عليه ذلك، والمحذوف مثل (كأنه يقول تعالى) وما أشبه ذلك.. وهذا مبين على معرفة أساليب العرب وطرائقهم في الحديث والتعبير عما في النفس.

* * *

القيامة

هي وقت قيام الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم للعرض على الله تعالى والحساب والجزاء.

وقتها:

بالرغم من أن هناك علامات للساعة ورد ذكر بعضها في القرآن الكريم، إلا أن وقتها بالتحديد استأثر الله تعالى بعلمه، كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[١] أي: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى هي قائمة؟ قل لهم: إنما علم الساعة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يعلم وقت قيامها غيره ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ أي وما أشعرك يا محمد؟ لعل قيام الساعة يكون منك قريبًا، قد قرب وقت قيامها، ودنا حين مجيئها[٢].

وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال (أي عمل) بأصبعيه هكذا: الوسطى والتي تلي الإبهام (أي ضمها) وقال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»، وفي رواية قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»، ويشير بأصبعيه، يمدهما[٣].

وفي رواية للترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثتُ في نَفَس الساعة، فسبقتها، كفضل هذه على الأخرى**» (أي السبابة والوسطى ـ كما في رواية أخرى)[٤].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٣.

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٩).

(٣) ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ لابن الأثير ط. ١٣٩٢هـ.

(٤) المرجع السابق: [١٠/٣٨٤ (٧٨٨٤)]، والرواية عند الترمذي برقم (٢٢١٤ و٢٢١٥).

النفخ في الصور:

الصواب من القول في الصور ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ إِسْرَافِيلَ قَدْ التَقَم الصُّورَ، وَحَنَى جبهَتُه، ينتظِرُ مَتَى يُؤْمَر فينفخ»[١] وأنه قال: «الصُّورَ قرنٌ ينفخُ فيه»[٢].

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[٣] يعني: «أن عالم الغيب والشهادة، هو الذي ينفخ في الصور»[٤].

وعن مجاهد قال: «الصور كهيئة البوق»[٥].

عدد النفخات في الصور:

لم يصرح ابن جرير بعدد النفخات في الصور، إلا أنه ساق رواية الحديث مطول عن رسول الله ﷺ بهذا الشأن عند قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[٦]. وعند قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٧] الآية.

ومن هذه الرواية ـ وإن كانت ضعيفة ـ: سئل رسول الله ﷺ: ما الصور؟

---

(١) هذا سياق الطبري، وقد رواه الترمذي برقم (٣٤٣٣)، وإسناده ضعيف، ولفظه: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، واصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ..» الحديث. قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: «وله شواهد يقوى بها» جامع الأصول [١٠/٤٢٠ (٧٩٣٩)].

(٢) حديث صحيح رواه الترمذي وغيره، السابق [١٠/٤٢١ (٧٩٤٠)].

(٣) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

(٤) ينظر: جامع البيان (١١/٤٦٣).

(٥) ينظر: جامع البيان ط. الحلبي (٢٠/١٨).

(٦) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٧) سورة الزمر: الآية ٦٨.

قال: «قرن»، قال: وكيف هو؟ قال: «قرن» قال: وكيف هو؟ قال: «**قرن عظيم، ينفخ فيه ثلاث نَفَخات: الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام له رب العالمين...**» الحديث.

وقال في الموضع الثاني: وهذا القول الذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ أولى بالصِّحة، لأن الصَّعقة في هذا الموضع الموت[١].

قال ابن جرير: وذكر لنا أن بين النفختين أربعين سنة[٢].

المستثنون من الفزع والصعق:

يقول ابن جرير ـ متابعًا حديثه ـ: والشهداءُ وإن كانوا أحياء ـ كما أخبر الله ـ تعالى ذكره ـ فإنهم ذاقوا الموت قبل ذلك، وإنما عنى ـ جلَّ ثناؤه ـ بلا استثناء في هذا الموضع، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق، لا من الذين ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من هلك، وذات الموت قبل وقت نفخة الصعق، وجب أن يكون الموار بذلك من قد هلك، فذاق الموت من قبل ذلك، لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت، إذا كان الميت لا يجدد له موت آخر في تلك الحال[٣].

وكان قد ساق الأقوال في تحديد المستثنين من الفزع والصعق، حيث قال بعضهم: استثنى من الصعق: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وقال آخرون: عنى بالاستثناء من الفزع: الشهداء، ومن الصعق: جبريل وملك الموت وحملة العرش، وقال غيرهم: عنى بذلك الشهداء (أي استثنوا من الصعق)[٤].

---

(١) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٤/ ٣٠).
(٢) المرجع السابق (٢٤/ ٣١).
(٣) المرجع السابق (٢٤/ ٣٠-٣١).
(٤) المرجع السابق (٢٤/ ٢٩-٣٠).

هذا، وقد فسر الصيحة في قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[١] بأنها نفخة الفزع، عند قيام الساعة[٢].

طول اليوم من أيام القيامة:

هناك ثلاثة أقوال في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٣].

١- فقيل: إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا، فذكر الله ـ تعالى ـ أن يومًا عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة كألف سنة مما تعدون في الدنيا.

٢- وقيل: إن مقدار اليوم الذي عند الله ألف سنة مما يعد الناس من أيامهم، وهو عندهم بطيء، وعنده قريب.

٣- وقيل: إن يومًا من الثقل وما يخاف كألف سنة.

وقد اختار ابن جرير القول الثاني، وأنه أشبه بالحق وأن المعنى: إن يومًا من الأيام التي عند الله يوم القيامة، يوم واحد كألف سنة من عددكم...[٤].

أرض القيامة:

بعدما ساق ابن جرير التفسيرات المتعددة لمعنى تبديل الأرض، الوارد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[٥] قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم

---

(١) سورة يس: الآية ٤٩.
(٢) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٣/٢٣).
(٣) سورة الحج: الآية ٤٧.
(٤) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٨٤/١٧).
(٥) سورة إبراهيم: الآية ٤٨.

القيامة أرضًا غيرها، وكذلك السماوات اليوم تبدل غيرها ـ كما قال ـ جل ثناؤه ـ وجائز أن تكون نارًا، وجائز أن تكون خبزًا، وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له: أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل[1].

إنكار بعض المشركين للبعث:

يخبر الله عن قولٍ للذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش حيث قالوا: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا﴾[2] وهذا إنكار منهم للبعث بعد الموت، كأنهم يقولون: هل نحن مبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظامًا غير منحطمة، ورفاتا منحطمة، وقد بَلِينا فصرنا فيها ترابًا، خلقا مُنشأ كما كنا قبل المات جديدًا، نعاد كما بدئنا؟! فأجابهم ﷻ يُعرفهم قدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بلاهم خلقًا جديدًا، على أي حال كانوا من الأحوال عظامًا أو رفاتًا، أو حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في صدورهم مثل: الموت أو السماء والأرض والجبال أو أي شيء أردتم. فسوف تموتون ثم تبعثون[3]. فلا شك في حقيقة البعث والجمع يوم القيامة للعرض والحساب، والثواب والعقاب والجزاء يقينًا فلا يشكن أحد في صحته. ولا يمترين في حقيقته، فإن قول الله هو الصدق الذي لا كذب فيه، ووعده الحق الذي لا خُلف له، وأي متكلم أصدق من الله حديثًا؟ وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعًا، أو يدفع عنها ضرًا، والله ـ تعالى ـ خالق الضر والنفع، فغير جائز أن يكون منه كذب، فلا نظير له ـ تعالى ـ في استحالة

---

(١) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٣/٢٤٩-٢٥٤).
(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٩-٥١.
(٣) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٥/٩٧-٩٩).

الكذب منه ـ سبحانه ـ[١].

الموتتان والحياتان:

كان الناس أمواتًا، موت ذِكر، وخمولًا في أصلاب آبائهم نطفًا، لا يُعرفون ولا يُذكرون، فأحياهم الله بإنشائهم بشرًا سويًا، حتى ذُكروا وعرفوا أحياء، ثم يميتهم بقبض أرواحهم وإعادتها رفاتًا، لا يعرفون ولا يُذكرون في البرزخ إلى يوم يبعثون، ثم يحييهم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيه لبعث الساعة وصيحة القيامة، ثم إلى الله يرجعون بعد ذلك[٢].

كيف يبعث الناس في القيامة، وأعمارهم:

يميل ابن جرير إلى القول بأنَّ الناس لا يقومون فجأة من الأرض، كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[٣] وإنما يُبعث في المدة ما بين نفخة الصعق ونفخة القيام أو البعث ـ التي ورد أنها أربعون سنة ـ يُبعث مطر يقال له: (مطر الحياة)، حتى تطيب الأرض وتهتز، وتنبت أجسادُ الناس نبات البقل.

ثم قال: وذكر لنا أن معاذ بن جبل سألَ النبيَّ ﷺ: كيف يبعث المؤمنون يوم القيامة؟ قال: «**يبعثون جردًا مردًا مكحلين، بني ثلاثين سنة**»[٤] قلت: وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد في مسنده عن عبد الوهاب بن عطاء الخفاف العجلي، عن سعيد، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن معاذ، عن رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥/٥٩٢-٥٩٣).
(٢) ينظر: جامع البيان (٥/٥٩٢-٥٩٣).
(٣) سورة الزمر: الآية ٦٨.
(٤) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٤/٣٢).
(٥) مسند الإمام أحمد (٥/٢٣٢ و ٢٣٩ و ٢٤٠).

الميزان الأخروي:

هو الميزان المعروف الذي يوزن به، فيزن الله ـ جل ثناؤه ـ أعمال خلقه، الحسنات منها والسيئات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله: «مَا وُضِعَ فِي المِيزانِ شَيْءٌ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلقِ»[(١)]، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال. ومن أنكر ذلك فهو جاهل لا حجة له، ووزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم.

ويسأل من أنكر ذلك فيقال له: إن الله أخبرنا ـ تعالى ذكره ـ أنه يُثقِّلُ موازينَ قومٍ آخرين، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بتحقيق ذلك، فما الذي أوجب لك إنكار الميزان، أن يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته، الذي يتعارفه الناس؟ أحجة عقل تُبْعِد أن يُنال وجه صحته من جهة العقل؟ وليس في وزن الله ـ جلَّ ثناؤه ـ خلقه، وكَتْبَ أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان، خروج من حكمة، ولا دخول في جور قضية، فما الذي أحال ذلك عندك من حجة عقل أو خبر؟ إذْ كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل، إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرتُ، ولا سبيل إلى ذلك. وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين، وضوحُ فساد قوله، وصحة ما قاله أهل الحق في ذلك[(٢)].

الأعراف:

هو السور الذي ذكره الله ـ تعالى ـ فقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾[(٣)] وهو الحاجز والحجاب بين الجنة والنار. والأعراف: جمع عُرف، وهو كل مرتفع من

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٠٠٣) و(٢٠٠٤) بنحوه، وإسناده حسن، جامع الأصول (٤/ ٥-٦).
(٢) ينظر: جامع البيان (١٢/ ٣١١-٣١٤).
(٣) سورة الحديد: الآية ١٣.

الأرض عند العرب. والذين على الأعراف رجال يعرفون كلًا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر - على أنهم ملائكة - عن رسول الله ﷺ يصح سنده، ولم يتفق على تأويلها بذلك، ولا إجماع من الأمة عليه. فإذا كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياسًا، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن (الرجال) اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم، ودون سائر الخلق وغيرهم، وقد روى عمر بن جرير قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: «**هُم آخرُ من يفصِلُ بينهم مِنَ العِباد، قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار فلم تدخلكم الجنة، وأنتم عتقائي، فاعوا من الجنة حيث شئتم**»[1] [2].

* * *

(١) ينظر: (١٢/٤٤٩-٤٦١).
(٢) قال الشيخ أحمد شاكر: وهذا خير مرسل حسن. وزاد نسبته إلى ابن المنذر الإمام السيوطي في الدر (٨٧/٣). ينظر: السابق (١٢/٤٦١).

الكاف

الكبائر

الكبائر

الكبائر من الذنوب أولى ما قيل في تأويلها بالصحة، ما صحَّ به الخبر عن رسول الله ﷺ دون ما قاله غيره، وإنْ كان كل قائلٍ فيها قولًا قد اجتهد وبالغ في نفسه، ولقوله في الصحة مذهب[1] فالكبائر إذن: الشرك بالله وعقوق الوالدين، وقتل النفس المحرم قتلها، وقول الزور ـ وقد يدخل في «قول الزور» شهادة الزور ـ وقذف المحصنة، واليمين الغموس، والسحر ـ ويدخل في قتل النفس المحرم قتلها: قتل الرجل ولده، من أجل أن يَطعَم معه ـ والفرار من الزحف، والزنا بحليلة الجار. وإذا كان ذلك كذلك، صح كل خبر روي عن رسول الله ﷺ في معنى الكبائر، وكان بعضه مصدقًا بعضًا، وذلك أن الذي روي عن رسول الله

(١) قيل:
١ - إنها ما ذكر في سورة النساء من أولها إلى ثلاثين منها.
٢ - وقيل: أنها سبع.
٣ - وقيل: أنها تسع.
٤ - وقيل: هي أربع.
٥ - وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة.
٦ - وقيل: هي ثلاث.
٧ - وقيل: هي كل موجبة، وكل ما أوعد الله أهله عليه النار كل هذه الأقوال حكاها ابن جرير (٨/٢٣٣-٢٤٦). تحقيق شاكر.

ﷺ أنه قال: «**هي سبعة**» يكون معنى قوله حينئذ: «**هي سبع**» على التفصيل، ويكون معنى قوله في الخبر الذي روي عنه أنه قال: «**هي الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور**» على الإجمال، إذ كان قوله: «**وقول الزور**» يحتمل معاني شتى، وأن يجمع جميع ذلك «**قول الزور**»[1].

جزاء مجتنب الكبائر:

من اجتنب الكبائر التي وعد الله مجتنبها تكفير ما عداها من سيئاته، وإدخاله مُدخلا كريمًا، وأدى فرائضه التي فرضها الله عليه، وجَدَ الله لِمَا وعده من وعدٍ منجزًا، وعلى الوفاء له ثابتًا[2].

الإيمان عند اقتراف الكبائر:

مقترف الكبيرة يزول عنه الاسم الذي هو معنى المدح، إلى الاسم الذي هو بمعنى الذم، فيقال له: «فاسق، فاجر، زان، سارق»، وذلك أنه لا خلاف بين جميع علماء الأمة أن ذلك من أسمائه، ما لم يظهر منه خشوع التوبة مما ركب من المعصية، فذلك اسمه حتى يزول عنه بظهور التوبة مما ركب من الكبيرة، وذلك هو معنى قوله ﷺ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُو مؤمن، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حين يسرقُ وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن**»[3].

فإن قال قائل: أَفَنُزِيل عنه اسم (الإيمان) بركوبه ذلك؟ قيل له: نزيله عنه بالإطلاق[4]، ونكتبه له بالصلة والتقييد! فإن قال: وكيف نزيله عنه بالإطلاق

---

(١) ينظر: جامع البيان (٨/٢٥٢-٢٥٤).

(٢) المرجع السابق (٨/٢٥٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار، مسند ابن عباس، السفر الثاني: ٦٠٥، الحديث ٢٤، الأخبار (٨٩٩-٩١٧). والحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما، جامع الأصول [(١١/٧١٠ (٩٣٦٩-٩٣٧٠)].

(٤) ويمكن أن يقال: مؤمن بمطلق إيمان، وليس إيمانا مطلقا.

ونثبته له بالصلة والتقييد؟ قيل: نقول: مؤمن بالله ورسوله، مصدق قولًا بما جاء به محمد ﷺ ولا نقول مطلقًا: هو مؤمن، إذ كان الإيمان معرفة وقولًا، غير مستحق اسم الإيمان بالإطلاق، إذ لم يأت بالمعاني التي يستوجب بها ذلك، ولكنه قد أتى بمعانٍ يستحق التسمية به موصولًا في كلام العرب، ونسميه بالذي تسميه به العرب في كلامها، ونمنعه الآخرَ الذي تمنعه دلالة كتاب الله وآثار رسوله ﷺ وفطرة العقل[1].

الكبيرة والشرك:

دلَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2].

* * *

---

(١) تهذيب الآثار، مسند ابن عباس، السفر الثاني: ٦٥٠-٦٥١.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٨.

الميم

المرجئة	المسجد الأقصى	معجزات النبي ﷺ
الملائكة	الموت والحياة	موسى عليه السلام

المرجئة

قال: والمعنى الذي من أجله سميت (المرجئة) أن يقال: إن الإرجاء معناه تأخير الشيء، فمن أخر أمر علي وعثمان رضي الله عنهما إلى ربهما، وترك ولا يتهمهما والبراءة منهما فهو مرجئ أمرهما ويقال له: (مرجئ).

ومؤخر العمل والطاعة عن الإيمان: مرجئهما عنه، وهو (مرجئ).

غير أن الاسم قد غلب عند أهل المعرفة بمذاهب المختلفين في الديانات على من كان قوله: الإيمان قول بلا عمل، وعلى من كان من مذهبه: أن الشرائع ليست من الإيمان، وأن الإيمان إنما هو التصديق بالقول، دون العمل المصدق بوجوبه.

وقد رُوي أن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ قال: «صنفانُ من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئةُ والقدرية»[1].

* * *

(١) تهذيب الآثار، مسند ابن عباس، السفر الثاني: ٦٥٤-٦٦١ (٩٦٨). والحديث رواه الترمذي في كتاب القدر، باب ما جاء في القدرية (٢٠٧٥)، وابن ماجه (٦١)، والحديث ضعفه الألباني. وقال الفيروزابادي: «لا يصح في ذم المرجئة والقدرية حديث».

المسجد الأقصى

بارك الله ما حول المسجد الأقصى لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم[١].

كما قال ﷻ: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[٢].

قال الإمام الرازي: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ قيل: بالثمار والأزهار، وقيل: بسبب أنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة[٣].

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ قال: أنبتنا حوله الشجر[٤].

وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «وَصفُ المسجد الأقصى بأنه ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ وصفٌ يرسم البركة حافةً بالمسجد، فائضة عليه، وهو ظل لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل: باركناه. أو باركنا فيه. وذلك من دقائق التعبير القرآني العجيب[٥].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٥/١٧).
(٢) سورة الإسراء: الآية ١.
(٣) تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير) المجلد العاشر (٢٠/١٤٧).
(٤) الدر المنثور للسيوطي (٤/١٦٢).
(٥) في ظلال القرآن المجلد الرابع (١٥/٢٢١٢)، ط. دار الشروق.

معجزات النبي ﷺ

معلوم أن معجزات الرسول ﷺ كثيرة وفيرة، وأهمها القرآن العظيم، وقد جاء في القرآن ـ نفسه ـ إشارة إلى معجزات أخرى منها:

انشقاق القمر:

انفلق القمر كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[1] وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله ﷺ وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم ﷺ انشقاق القمر آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوته، فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمر، سحرنا محمد، فقال الله ـ جل ثناؤه ـ: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾[2].

هذا وإن ابن جرير قد أورد روايات كثيرة[3] لهذه الحادثة منها قوله: حدثنا الحسن بن يحيى المقدسي، قال: ثنا يحيى ابن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله (أي ابن مسعود) قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، سحركم، فسلوا السفار (أي المسافرين خارج مكة) فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[4].

إجابة دعائه ﷺ لابن عباس:

روى ابن جرير بإسناده عن ابن عباس قال: دخلت أنا وأبي على النبي ﷺ

---

(١) سورة القمر: الآية ١.

(٢) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٧/٨٤-٨٧).

(٣) بلغت إحدى وثلاثين رواية.

(٤) المرجع السابق، ط. الحلبي (٢٧/٨٥).

فسلم عليه أبي، فلم يرجع إليه شيئًا[(١)]، فلما رجع إلى البيت قلت: يا أَبَهْ! أما رأيت الرجل عنده، بين يديه يُحدثه! فرجع وهو ثقيل، مخافة أن يكون عرض لي شيء[(٢)]، قال: فدخل على النبي ﷺ فسلم عليه وانبسط إليه، وقال: دخلت عليك فسلمتُ ولم ترد علي، وزعم ابني أنه رأى معك رجلًا يحدثك: فقال: «رأيته؟» قلت: نعم. قال: «**ذاك جبريل!**» ثم قال: «**اللهم اجعله عليمًا ـ أو: حكيمًا ـ**» قال: فما نسيت بَعْدُ شيئًا سمعته[(٣)]. وأورد عشر روايات أخرى في هذا المعنى. ثم قال: والذي فيه (أي في هذا الحديث) الإبانة عما خصَّ الله ـ تعالى ـ نبينا من الفضيلة بإجابته دعاءه، وإعطائه مسألته، وذلك أنه دعا ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس بأن يعلمه الحكمة وتأويل القرآن وأن يفقه في الدين، فأعطاه ذلك، وأجاب له دعاءه، بما دعا به فيه، فكان عالمًا بالحكمة وتأويل القرآن، فقيهًا في الدين، مُقَدمًا في ذلك، نِقَابًا[(٤)] مبرزًا على أقرانه، لا يتقدمه منهم أحد، بل لا يدانيه ولا يقاربه منهم بشر في أيامه، يشهد له بذلك الجِلة من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان.

وقد أورد ابن جرير ثلاثًا وعشرين رواية في إثبات تلك الشهادات، منها ما رواه بإسناده عن مجاهد قال: كان ابن عباس إذا فسر الشيء، رأيت عليه النور[(٥)].

معجزات أخرى:

هذا، وإن هناك إشارة إلى معجزة عدم تمني اليهود للموت، في محل آخر من هذا البحث. تحت عنوان (اليهود).

---

(١) أي لم يرد عليه السلام.

(٢) أي أصابه شيء في عقله، حيث رأى ما لم يرَ أبوه.

(٣) تهذيب الآثار للطبري، تعليق محمد شاكر، مسند ابن عباس، السفر الأول: ١٧١ طبع مطبعة المدني ١٩٨٢م.

(٤) نقابًا: أي نقيبًا، وهو العريف، وهو شاهد القوم وضمينهم. مختار الصحاح: ٦٧٥ مادة: ن ق ب.

(٥) تهذيب الآثار، مسند ابن عباس، السفر الأول: ١٧١-١٨١.

الملائكة

الملائكة جمع مَلأك، غير أن الواحد منهم بدون الهمزة، فيقال: (ملك) وهو أكثر وأشهر في كلام العرب من المهموز.

وأصل الملأك: الرسالة، كما قال عدي بن زيد العبادي:

أَبلغِ النُّعمانَ عنِّي ملأكًا ... إنَّه قد طَالَ حَبْسي وَانِتظَارِي

وفيه لغةٌ أخرى وهي مألك، بتأخير اللام فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسلت إليه من عبادة [1].

عروج الملائكة ونزولهم:

هو صعودهم إلى الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [2] أي تصعد الملائكة والروح،وهوجبريل عليه السلام ومقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابقة، إلى منتهى أمره من فوق السماوات السبع [3].

الملائكة والعلم:

عجبت الملائكة من أن يكون لله خلق يعصيه، واستفظعت إذ أخبرت أن ذلك كائن، فلذلك قال الرب ـ سبحانه ـ: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني بذلك ـ والله أعلم ـ: إنكم لتعجبون من أمر الله وتستفظعونه، وأنا أعلم أنه في بعضكم،

---

(١) ينظر جامع البيان (١/٤٤٥-٤٤٧).

(٢) سورة المعارج: الآية ٤.

(٣) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (٢٩/٧٠).

وتصفون أنفسكم بصفة أعلم خلافها من بعضكم، وتَعَرّضون بأمر قد جعلته لغيركم. وذلك أن الملائكة لما أخبرها ربها بما هو كائن من ذرية خليفته، من الفساد وسفك الدماء، قالت لربها: يا رب أجاعل أنت في الأرض خليفة من غيرنا، يكون من ذريته من يعصيك؟ أم مِنا؟ فإنا نعظمك ونصلي لك ونطيعك ولا نعصيك؟ ـ ولم يكن عندها علم بما قد انطوى عليه كَشْحا[1] إبليس، من استكباره على ربه ـ فأخبرهم الرب سبحانه: بأنه يعلم غير الذي يقولون من بعضهم، وذلك هو ما كان مستورًا عنهم من أمر إبليس، وانطوائه على ما قد كان انطوى عليه من الكبر، وعلى قِيلهم ذلك. ووصفهم أنفسهم بالعموم من الوصف، عوتبوا[2].

* * *

---

(١) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي، والمقصود: أضمر له العداوة. انظر: مختار الصحاح: ٥٧٢ لمحمد بن أبي بكر الرازي، ط١ دار الهلال بيروت، ١٩٨٣م.

(٢) ينظر: جامع البيان (١/٤٧٩-٤٨٠).

الموت والحياة

الحياة هي المعروفة بمظاهرها لدى الحي، من نمو وتنفس وقابلية للغذاء، والموت بضد ذلك. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾(١) فما يموت محمد ـ ﷺ ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذي كتبه الله له، وأذن له بالموت فحينئذ يموت، فأما قبل ذلك فلن يموت بكيد كائد، ولا حيلة محتال(٢).

ومن كُتب عليه القتل فسيظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه، حتى يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه (٣)، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾(٤).

قوة المؤمنين في إيمانهم بالأجل:

والله ﷻ يرغِّب عباده المؤمنين في جهاد عدوه، والصبر على القتال، وإخراج هيبة الأعداء من صدورهم، وإن قل عددهم وكثر عدد أعداء الله وأعدائهم، ويُعلم المؤمنين كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾(٥) إن الإماتة والإحياء بيده، وإنه لن يموت أحد ولا يقتل بعد فناء أجله الذي كتب له، وينهاهم الله(٦) ـ إذا كان ذلك كذلك ـ أن يجزعوا من موت من مات منهم، أو قَتْل من قُتل منهم في حرب المشركين(٧).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٥.
(٢) ينظر: جامع البيان (٧/٢٦٠).
(٣) ينظر: جامع البيان (٧/٣٢٤).
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٦.
(٦) كما تدل عليه الآيات في سورة آل عمران: ١٥٣-١٥٨.
(٧) ينظر: جامع البيان (٧/٣٣٦).

والموت حتم على جميع الأنفس، ومرجعها إليه سبحانه[١] كما قال جل ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[٢].

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (٧/٤٥٢).
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٥.

موسى عليه السلام

هو نبي بني إسرائيل الذي أنزلت عليه التوراة، وقد كلمه الله ﷻ وناجاه ـ بلا واسطة ـ دون غيره من الخلق [١]، فخاطبه الله بكلامه خطابًا[٢] كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٣] وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[٤].

خلع النعلين:

أمر الله نبيه موسى أن يخلع نعليه عندما أتى إلى النار، وَكَلَّمه الرب ﷻ.

وقد قيل: إن سبب أمره بخلع نعليه أنهما كانتا من جلد حمار ميت، فكره أن يطأ بهما الوادي المقدس، وأراد أن يمسه من بركة الوادي.

وقيل: كانتا من جلد بقر، ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه، ليصل إليه بركتها..

وقد رجَّح ابن جرير القول الثاني.. حيث كان الوادي واديًا مقدسًا، وذلك لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار، ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، بل في قوله: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾[٥] بعده دليل واضح، على أنه أمر بخلعهما للسبب المذكور[٦].

---

(١) لقد خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ بعد ذلك، بلا واسطة.
(٢) ينظر: جامع البيان (٩/٤٠٣)، (١٣/١٠٥).
(٣) سورة النساء: الآية ١٦٤.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٤٤.
(٥) سورة طه: الآية ١٢.
(٦) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١٦/١٤٣-١٤٤).

مواضيع لم ترد في هذا الحرف (الميم):

- المسيح = عيسى بن مريم - عليهما السلام -
- المسيحيون = النصارى
- مشاهدة الرب سبحانه = رؤية الباري ﷻ
- المشركون = الشرك والمشركون
- مصر = الشام ومصر
- المعاصي = الكبائر
- المعراج = الإسراء والمعراج
- المغيبات = الغيب
- المنافقون = النفاق والمنافقون
- الموالاة والمعادة = الولاء والبراء

* * *



النصارى

هو الذين ينسبون أنفسهم إلى عيسى بن مريم عليه السلام، ويدَّعون اتباع ما جاءت بها التوراة والإنجيل.

اختلافهم:

لما علموا الحق، وأيقنوا أنهم مبطلون فيما يقولون فيه من عظيم الفرية، اختلفوا، وافتروا على الله فيما قالوه من الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم، وتشتت بها كلمتهم، وباين بها بعضهم بعضًا، حتى استحل بها بعضهم دماء بعض كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[1] فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل، وقالوا من القول الذي هو كفر بالله، على علم منهم بخطأ ما قالوه، إنهم لم يقولوا ذلك جهلًا منهم بخطئه، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه، تعديًا من بعضهم على بعض، وطلبًا للرياسات والملك والسلطان...[2].

وهنا يظهر أن ابن جرير يوجه إلى أن المقصود بـ (أهل الكتاب) في هذا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٢) ينظر: جامع البيان (٦/٢٧٦-٢٧٧).

الموضع: هم النصارى، دون اليهود، حيث يذهب الربيع بن أنس[(١)] إلى أن المقصود هنا هم اليهود دون النصارى، وقد خالفه غيره كمحمد بن جعفر بن الزبير[(٢)]،[(٣)].

لا تثليث!

يدعو ﷻ النصارى إلى التصديق بوحدانية الله وربوبيته، وأنه لا ولد له، وإلى أن يصدقوا رسله فيما جاءهم به من عند الله، وفيما أخبرتهم به أن الله واحد لا شريك له، ولا صاحبة له ولا ولد له، وأن لا يقولوا ثلاثة: أي لا يقولوا: الأرباب ثلاثة، وأن ينتهوا عن قول الزور كقولهم: ﴿ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، وعن الشرك بالله، فإن الانتهاء عن ذلك خير من الاستمرار في افترائه، لأن عند الله عقابًا عاجلًا على قولهم ذلك، إن أقاموا عليه، ولم ينيبوا إلى الحق الذي أمرهم الله بالإنابة إليه ولما ينتظرهم من العقاب الآجل في معادهم[(٤)].

كفرهم:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[(٥)] فهذا ذم من الله ـ عزَّ ذكره ـ للنصرانية والنصارى، الذين ضلوا عن سبل السلام، واحتجاج منه لنبيه محمد ﷺ في فريتهم عليه، بادعائهم له ولدًا.

ومعنى الآية: أقسم، لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم. و(كفرهم) في ذلك: هو تغطيتهم الحق في تركهم نفي الولد عن الله ﷻ وادعائهم

---

(١) الربيع بن أنس البكري، ويقال الحنفي، ثم الخراساني توفي سنة ١٤٠هـ تهذيب التهذيب، ط. الهند (٢٣٩/٣).

(٢) هو ابن العوام الأسدي المدني، كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم، مات حوالي سنة ١٢٥هـ السابق (٩٣/٩).

(٣) ينظر: جامع البيان (٢٧٨/٦).

(٤) المرجع السابق (٤٢٢/٩-٤٢٣).

(٥) سورة المائدة: الآية ١٧.

أن المسيح هو الله، فرية وكذبًا عليه.

وقد ردَّ الله ـ تعالى ـ عليهم، بأنه لو كان المسيح كما يزعمون ـ أنه هو الله، وليس هو كذلك ـ لَقَدِرَ أن يرد أمر الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه، وقد أهلك أمه، فلم يقدر على دفع أمره فيها إذْ نزل ذلك. ففي ذلك لهم معتبر ـ إن اعتبروا ـ وحجة عليهم إن عقلوا: في أن المسيح بشر كسائر بني آدم، وأن الله ﷻ هو الذي لا يُغلب ولا يُقهر ولا يُرد له أمر، بل هو الحي الدائم القيوم، الذي يحيي ويميت، وينشئ ويغني، وهو حي لا يموت[١].

وفي مناسبة أخرى يؤكد الله ـ تعالى ـ كفر قائلي هذا القول، من الإسرائيليين، حيث ابتلاهم بعبده عيسى بن مريم. فنقضوا الميثاق، وغيروا العهد، بأن لا يعبدوا إلهًا سواه، ولا يتخذوا ربًا غيره، وأن يوحدوه، وينتهوا إلى طاعته ﷻ ولكنه لما ابتلاهم بعيسى عليه السلام وهو عبد من عبيده، خلقه، وأجرى على يده نحو الذي أجرى على يد كثير من رسله، قالوا كفرًا منهم: «هو الله» وهذا هو قول اليعقوبية[٢] من النصارى ـ عليهم غضب الله ـ[٣].

النصارى المخلصون:

لقد ذكر الله لنا قومًا من النصارى بأنهم أقرب الناس ودادًا لأهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ ولم يسم لنا أسماءهم، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي، ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى عليه السلام

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٠/١٤٦-١٤٨).

(٢) (اليعقوبية): هم أصحاب يعقوب، قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو (تعالى الله وتقدس). الملل والنحل، ط. بيروت ١٤٠٢هـ (١/٢٢٥).

(٣) ينظر: جامع البيان (١٠/٤٨٠).

فأدركهم الإسلام فأسلموا، لما سمعوا القرآن، وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه، وقد قَرُبت مودة هؤلاء من أجل أن منهم قسيسين ورهبانًا، وهم أهل الاجتهاد في العبادة، والترهب في الديارات والصوامع، والعلماء بكتبهم، التالين لها، فهم لا يبعدون من المؤمنين، لتواضعهم للحق إذا عرفوه، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبينوه، لأنهم أهل دين واجتهاد فيه، ونصيحة لأنفسهم في ذات الله، وليسوا كاليهود الذين دَرِبوا بقتل الأنبياء والرسل، ومعاندة الله في أمره ونهيه، وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه [(١)] هذا ومن تمام الفائدة أوجز ما ذكره الشيخ محمود شاكر من أن العلامة الجصاص ذكر في كتابه (أحكام القرآن) [(٢)] عدم صحة ما يظنه بعض الناس من الثناء على النصارى بشكل عام في هذه الآية، حيث قصرها على قوم آمنوا بالله ورسوله. ثم أورد رد أبي حيان في تفسيره [(٣)] على هذا الرأي بعدما نقل نصه، وذهب إلى أن النصارى على الجملة أصلح حالًا من اليهود.. ولم يرجح الشيخ محمود أيًا من الرأيين، بل اكتفى بقوله: «وهذا كلام فيه نظر يطول، ليس هذا موضع تفصيله، وإنما نقلته لك لتتأمله وتتدبره»[(٤)].

وفي رأيي ـ أن الباحث ـ أن في آخر الآية والآية التي تليها تحديدًا وصفًا موضوعيًا لهؤلاء القريبي المودة من المؤمنين بالله ورسوله.

وهذا التحديد الوصفي يتكون من عناصر أربعة أو خمسة:

١ - العلم والعبادة أو أحدهما.

٢ - عدم الاستكبار.

---

(١) المرجع السابق (١٠/٥٠٥-٥٠٦).
(٢) أحكام القرآن، للجصاص (٢/٤٥١).
(٣) البحر المحيط، لأبي حيان (٤/٤-٥).
(٤) حاشية جامع البيان (١٠/٥٠٦).

٣- الخشوع لدى سماع الحق وعدم العناد أو الجفاء.

٤- الموقف العملي عند معرفة الحق، وهو إعلان الالتزام به، والالتزام به فعليًا.

فمتى ما توفرت هذه السمات في أي أناس من النصارى، في أي عصر وفي أي مصر، فإني أرجح أنهم هم المعنيون بـ (قرب المودة)، وإذا نظرنا إلى الواقع المعاصر[١] وجدنا أمثلة متعددة من علماء ومثقفين ورجال دين نصارى قد أسلموا من العرب[٢] وغيرهم، بينما لا نجد أحدًا من اليهود من مثقفيهم أو حاخاماتهم فعلوا ذلك إلا قليلًا[٣].

* * *

(١) في أواخر القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر وفي القرن العشرين الميلادي.
(٢) من أمثال الأخ الأستاذ إبراهيم خليل أحمد المصري.
(٣) ومن هذا القليل الأستاذ محمد أسد، والأخت مريم جميلة.

النفاق والمنافقون

هم قوم طابقوا أحبار يهود، المبغضون للإسلام وللرسول ﷺ طابقوهم سرًا على معاداة النبي ﷺ وأصحابه، وبَغْيِهم الغوائل، وهم قوم من أراهط الأنصار، الذين آوَوْا رسول الله ﷺ ونصروه، وكانوا قد عسوا[1] في شركهم وجاهليتهم، قد سُموا لنا بأسمائهم، وقد ظاهروا هؤلاء اليهود على ذلك في خفاء غير جهار، حذار القتل على أنفسهم، والسباء من رسول الله ﷺ وأصحابه، وركونًا إلى اليهود، لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالإسلام، فكانوا إذا لَقُوا رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به من أصحابه قالوا لهم ـ حِذرًا على أنفسهم: إنا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبعث، وأعطوهم بألسنتهم كلمة الحق، ليدرأوا عن أنفسهم حكم الله فيمن اعتقد ما هم عليه مقيمون من الشرك، لو أظهروا بألسنتهم ما هم معتقدوه من شركهم، وإذا لقوا إخوانهم من اليهود وأهل الشرك والتكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به، فخلوا بهم قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[2] وإياهم عنى ـ جل ذكره ـ بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[3] يعني بقوله ـ تعالى ـ خبرًا عنهم: آمنا بالله، وصدقنا بالله[4].

والتعريف المشهور للنفاق: أنه إظهار الإسلام وإبطان الكفر.. هذا هو النفاق الاعتقادي.. وأما النفاق العملي، فهو الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام. كارتكاب واحدة من المذكورات في السُّنة: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا أئتمن خان.

---

(١) عسوا: من عسا الشيء يعسوا: اشتد وصلب وغلظ، من تقادم العهد عليه، وعسا الرجل: كَبُرَ والعاسي: هو الجافي. انظر: لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٥٤) مادة (عسا) ط. دار صادر، بيروت.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨.

(٤) ينظر: جامع البيان (١/ ٢٧٠-٢٧١).

ولاية المنافقين لليهود وشكهم في نبوة النبي ﷺ:

فرض الله على المؤمنين عداوة اليهود المعاندين، وحربهم، وفرض التصديق برسول الله ﷺ، والإيمان به وبما جاء به من عند الله، ولكن المنافقين كانوا يلقون اليهود على وجه الولاية منهم لهم، ويشكون في نبوة رسول الله ﷺ وفيما جاء به أنه من عند الله، وهذا أعظم الفساد [١].

هل المنافقون يخادعون الله؟

أنكر المفاعلة الواردة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [٢] بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب، وقال إنها بمعنى (يَفْعَل) [٣] وقال إنها نظير قولهم: قاتله الله، بمعنى قتله الله. ولكن هذا قول مرجوح، بل ذلك من (التفاعل) الذي لا يكون إلا من اثنين، كسائر ما يعرف من معنى (يفاعل ومفاعل) في كل كلام العرب..

وذلك أن المنافق يخادع الله ـ جلَّ ثناؤه ـ بكذبه بلسانه، والله ـ تعالى ـ خادعه، بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه من آجل معاده [٤].

هل خدع المنافقون المؤمنين؟

خطأ أن يقال إن المنافقين خدعوا المؤمنين، ولكن يقال: خادع المنافقون ربهم والمؤمنين ـ ولم يخدعوهم، بل خدعوا أنفسهم، كما يقال في رجل قاتل رجلًا آخر فقتل نفسه، ولم يقتل صاحبه: قاتل فلانٌ فلانًا، فلم يقتل إلا نفسه. فتُوجِب له مقاتلة صاحبه، وتنفي عنه قتله صاحبه، وتوجب له قتل نفسه، فكذلك يقال:

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٩١).
(٢) سورة البقرة: الآية ٩.
(٣) والحاصل على هذا الرأي غالبًا: التخوف من نسبة (المخادعة) إلى الله ـ سبحانه ـ.
(٤) ينظر: جامع البيان (١/ ٢٧٤-٢٧٥).

«خادع المنافق ربه والمؤمنين، فلم يخدع إلا نفسه» فتثبت منه مخادعة ربه والمؤمنين وتنفي عنه أن يكون خدع غير نفسه، لأن الخادع هو الذي صحت الخديعة له، ووقع له فعلها[١].

مرض قلوب المنافقين:

أصل المرض: «السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان».

وقلوب المنافقين مريضة ـ كما أخبر الله ـ جلَّ شأنه ـ والخبر عن مرض قلوبهم خبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد ولكن لما كان معلومًا بالخبر عن مرض القلب أنه مَعْني به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد، استغنى بالخبر عن القلب بذلك، والكفاية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم، قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٢] أي: في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين، والتصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله ـ مرض وسُقم.

وهذا المرض هو شكهم في أمر محمد ﷺ وما جاء به من عند الله، وتحيرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك ـ ولكنهم كما وصفهم الله ﷻ مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[٣].

زيادة المرض في قلوبهم:

زيادة المرض في قلوب المنافقين، هو بما أحدث الله من حدوده وفرائضه، التي لم يكن فرضها قبل الزيادة التي زادها المنافقين ـ من الشك والحيرة، إذ شكوا وارتابوا في الذي أحدث لهم من ذلك ـ إلى المرض والشك الذي كان في قلوبهم

(١) المرجع السابق (١/١٧٦).
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠.
(٣) ينظر: جامع البيان (١/٢٧٨-٢٧٩).

في السالف، من حدوده وفرائضه التي كان فرضها قبل ذلك. كما زاد المؤمنين به إلى إيمانهم الذي كانوا عليه قبل ذلك، بالذي أحدث لهم من الفرائض والحدود إذْ آمنوا به، إلى إيمانهم بالسالف من حدوده وفرائضه ـ إيمانًا[١].

معنى جهاد المنافقين:

أولى الأقوال بالصواب في معنى جهاد المنافقين، ما قاله ابن مسعود: من أن الله أمر نبيه ﷺ من جهاد المنافقين بنحو الذي أمَرَه من جهاد المشركين.. فإن قيل: فكيف تركهم ﷺ مقيمين بين أظهر أصحابه، مع علمه بهم؟

قيل: إن الله ـ تعالى ـ إنما أمر بقتال من أظهر منهم كلمةَ الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك: وأما من إذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر، وأخذ بها، أنكرها ورجع عنها، وقال: «إني مسلم» فإن حكم الله في كل من أظهر الإسلام بلسانه، أن يَحْقِن بذلك له دمه وماله، وإن كان معتقدًا غير ذلك، وتَوكَّل هو ـ جل ثناؤه ـ بسرائرهم، ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر[٢].

لهم العذاب مرتين:

أخبر الله ـ تعالى ـ أنه سيعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلًا يوصل به إلى علم صفة ذينك العذابين، وليس لدينا علم بتعيين ذلك، غير أن في قوله ـ جل ثناؤه ـ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[٣] دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار، والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر[٤].

---

(١) المرجع السابق (١/٢٨١).
(٢) ينظر: السابق (١٤/٣٥٩-٣٦٠).
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠١.
(٤) ينظر: جامع البيان (١٤/٤٤٥).

النار

هي دار العذاب التي أعدها الله ـ تعالى ـ في الآخرة للكفرة والعصاة.

أهل الخلود في النار:

أهل الخلود في النار هم أهل الكفر بالله ـ تعالى ـ دون أهل الإيمان، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن أهل الإيمان لا يخلدون فيها، وإن عملوا بعض السيئات من صغائر أو كبائر، وقد ثبت وصح أن الله قضى بالخلود في النار لأهل الشرك والكفر به إن ماتوا على ذلك بشهادة جميع الأمة، وأما أهل الكبائر فإن الأخبار القاطعة قد تظاهرت عندنا بأنهم غير مخلدين في النار، وغير معنيين بمثل قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1] فمن أنكر ذلك ـ ممن دافع حجة الأخبار المستفيضة، والأنباء المتظاهرة ـ[2] فاللازم له ترك قطع الشهادة على أهل الكبائر بالخلود في النار، بهذه الآية ونظائرها، التي جاءت بعمومهم في الوعيد. إذْ كان تأويل القرآن غير مدرك إلا ببيان من جعل الله إليه بيان القرآن، وبعض الآيات يأتي ظاهرها عامًا في صنف منها، وهو في حقيقته خاص. إذا ضمت الأدلة في الموضوع الواحد بعضها إلى بعض[3].

وأهل النار الذين كفروا ـ دون غيرهم من أهل الإيمان ـ يخلدون فيها إلى غير غاية ولا نهاية أبدًا[4]. كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

(١) سورة البقرة: الآية ٨١.
(٢) كالخوارج والمعتزلة.
(٣) ينظر: جامع البيان (٢/٢٨٢ و ٢٨٤).
(٤) جامع البيان (٥/٤٢٩) و (٣/٢٩٩).

وَٱلْأَرْضُ﴾[1] والعرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا، قالت: «هذا دائم دوام السماوات والأرض» بمعنى: أنه دائم أبدًا، وكذلك يقولون: «هو باق ما اختلف الليل والنهار».

و: «ما سمر ابنا سَمِير» و: «ما لألأت العُفْرُ بأذنابها» يعنون بذلك كله: أبدًا. أما الاستثناء في قوله ﷻ: ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فهو استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر، أنه يدخلهم النار خالدين فيها أبدًا، إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة.

وهذا هو الأصح مما قيل في تفسير هذا الاستثناء؛ لأن الله ـ تعالى ـ أوعد أهل الشرك بالخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك، وأن الأخبار قد تواترت عنه ﷺ أن الله يُدخل قومًا من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذُكر، ولو جعلناه استثناء في ذلك لدخلنا في قول من يقول: «لا يدخل الجنة فاسق».

ورود النار:

والنار يَرِدها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم، ومكدس[2] فيها[3].

---

(١) سورة هود: آية رقم ١٠٧.
(٢) أي مدفوع من ورائه فيسقط فيها. انظر: النهاية لابن الأثير (١٥٥/٤).
(٣) ينظر: جامع البيان، ط. الحلبي (١١٢/١٦).

جلود أهل النار:

أوعد الله الذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد ﷺ من يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر الكفار ـ وبرسوله، أن ينضجهم في نار يشوون فيها، كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت بدلوا جلودًا غير الجلود التي قد نضجت فانشوت.

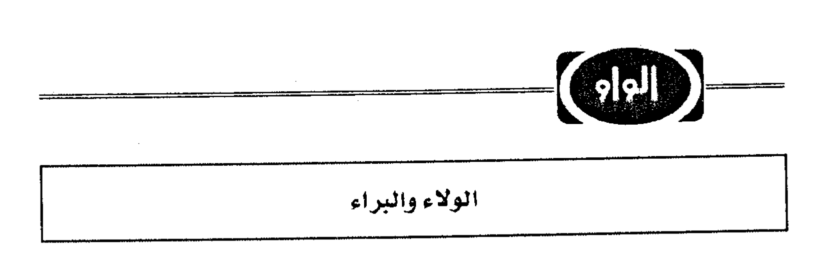
فإن قيل: وهل يجوز أن يبدلوا جلودًا غير جلودهم التي كانت في الدنيا، فيعذبوا فيها؟ فإن جاز ذلك عندكم، فما المانع أن يبدلوا أجسامًا وأرواحًا غير أجسامهم وأرواحهم التي كانت لهم في الدنيا فتعذب! وإن أجزتم ذلك، لزم أن يكون المعذبون في الآخرة بالنار، غير الذين أوعدهم الله العقابَ على كفرهم به ومعصيتهم إياه، وأن يكون الكفار قد ارتفع عنهم العذاب!!

فيقال: قد تعددت أقوال الناس في ذلك، وأصوبها أن المقصود بتلك الجلود هي السرابيل، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾[1] وكما يقال للشيء الخاص بالإنسان: «هو جلدة ما بين عينيه ووجهه» لخصوصه به، وأما جلود أهل الكفر من أهل النار فأنها لا تحترق، لأن في احتراقها ـ إلى حال إعادتها ـ فناءَها، وفي فنائها راحتها. وقد أخبر الله ـ تعالى ـ عنها: أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم من عذابها، وجلود الكفار أحد أجسامهم، ولو جاز أن يحترق منها شيء فيفنى ثم يعاد بعد الفناء في النار، جاز ذلك في جميع أجزائها، وإذا جاز ذلك، وجب أن يكون الفناء جائزًا عليهم، ثم الإعادة والموت، ثم الإحياء، وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يموتون، وفي خبره عنهم أنهم لا يموتون: دليل واضح أنه لا يموت شيء من أجزاء أجسامهم، والجلود أحد تلك الأجزاء[2].

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٥٠.

(٢) ينظر: جامع البيان (٨/٤٨٤-٤٨٧).



الولاء والبراء

معنى الولاء والبراء:

هو الأخوة والنصرة والمعاونة والتأييد. والبراء ضد ذلك (١).

لا موالاة للمنافقين:

المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، ولا يهاجرون من دار الشرك إلى دار الإسلام ومن الكفر إلى الإسلام، لا يجوز لمسلم أن يتخذ منهم خليلًا يوالي المؤمنين على أمورهم، ولا ناصرًا ينصرهم على أعدائهم، فإنهم كفار.. وهذا الخبر من الله تعالى في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ففي هذا الخبر إبانة عن صحة نفاق الذين اختلف المؤمنون في أمرهم، وتحذير لمن دافع عنهم عن المدافعة عنهم (٢).

لا موالاة لليهود والنصارى:

ينهى الله ـ تعالى ـ المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاء على

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٤/٧٧-٧٨).
(٢) سورة النساء: الآية ٨٩.

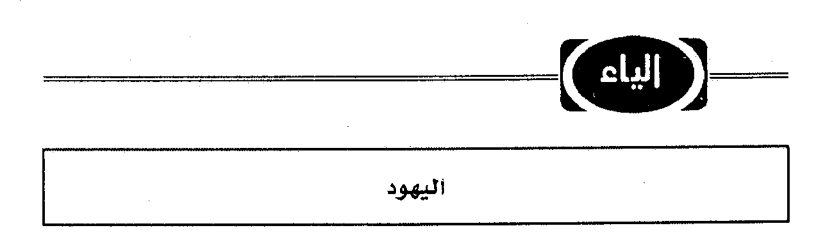
أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرهم، ويخبر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[1] يخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم، في التحزب على الله ورسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله بريئان منه.

والصواب أن يُحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمّ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه، كأن تكون الآية نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول وحلفائهما من اليهود أو في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة، أو في شأن الرجلين اللذين ذكر السدي أن أحدهما هم باللحاق بـ(دهلك) اليهودي، والآخر بنصراني بالشام. غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهودًا أو نصارى خوفًا على نفسه من دوائر الدهر، لأن الآية التي بعد الآية المذكورة تدل على ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾[2]،[3].

ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين ونصرهم.

* * *

(١) ينظر: جامع البيان (٩/ ١٨).
(٢) سورة المائدة: الآية ٥١.
(٣) سورة المائدة: الآية ٥٢.



اليهود

سميت اليهود (يهودًا) من أجل قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[1] وهم الذين ينسبون أنفسهم إلى اتباع نبي الله موسى عليه السلام وهم بنو إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ.

أخذ العهد عليهم:

وصى الله بني إسرائيل في التوراة، وأخذ عليهم العهد، أن يبينوا للناس أمر محمد ﷺ أنه رسوله، وأنهم يجدونه مكتوبًا عنهم في التوراة، أنه نبي الله، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله. هذا عهد الله إليهم، أما عهده إياهم، فهو أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة[2].

تحريفهم للكتاب:

أقدم اليهود على تحريف كلام الله ﷻ وتبديل معناه وتأويله وتغييره، وأصل التحريف: انحراف الشيء عن جهته، وهو ميله عنها إلى غيرها، فكذلك تحريفهم لكلام الله: إمالتهم له عن وجهه ومعناه الذي هو معناه إلى غيره، وهم يفعلون ما

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٦، وجامع البيان (١٤٣/٢).
(٢) ينظر جامع البيان (٥٥٧/١).

يفعلون من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا، وأنه بخلاف ما حرفوه إليه، وهم يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون[١].

ومن ذلك تحريفهم وتغييرهم حكم الله الذي أنزله في التوراة في المحصنين والمحصنات من الزنا بالرجم إلى الجلد والتحميم[٢].

بيان جرأتهم على الله ـ تعالى ـ وإلزامهم بالرسالة الخاتمة:

أخبر الله ـ سبحانه ـ عن جرأة اليهود على ربهم ﷻ ووصفهم إيَّاه بما ليس من صفته، توبيخا لهم بذلك، وتعريفا منه نبيه ﷺ قديم جهلهم واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكثرة صفحه عنهم، وعفوه عن عظيم إجرامهم، واحتجاجًا لنبيه محمد ﷺ بأنه نبي مبعوث ورسول مرسل: أنْ كانت هذه الأنباء التي أنبأهم بها من خفيّ علومهم ومكنونها التي لا يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم دون غيرهم من اليهود، فضلًا عن الأمة الأمية من العرب، الذين لم يقرأوا كتابًا، ولا وَعَوا من علوم أهل الكتاب علمًا، فأطلع الله على ذلك نبيه محمدًا ﷺ ليقرر عندهم صدقه، ويقطع بذلك حجتهم.

ومن جرأة اليهود تلك وصفهم الرب ـ سبحانه ـ بأن يده مغلولة.. يعنون بذلك أن خيره مُمْسَك، وعطاؤه محبوس عن الاتساع عليهم، فكأنهم يقولون: إن الله يبخل علينا، ويمنعنا فضله فلا يفضل، كالمغلولة يده، الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف... ـ تعالى الله عما قالوا، أعداء[٣] الله! [٤].

(١) ينظر جامع البيان (٢/٢٤٨-٢٤٩).
(٢) ينظر السابق (١٠/٣١٣)، والتحميم: هو تسويد الوجه بالحمم وهو الفحم. النهاية لابن الأثير (١/٤٤٤).
(٣) أعداء: منصوب على الذم. تعليق الشيخ شاكر.
(٤) ينظر: جامع البيان (١٠/٤٥٠-٤٥١).

تكذيبهم في دعواهم حب الله لهم:

أخبر الله - تعالى - عنهم، أنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[١] هم والنصارى، فرد الله عليهم: إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحباؤه، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم مقرون أنه معذبكم! وذلك أن اليهود قالت: إن الله معذبنا أربعين يومًا عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل، ثم يخرجنا جميعا منها! فقال الله لمحمد ﷺ: قل لهم: إن كنتم - كما تقولون - أبناءُ الله وأحباؤه، فلم يعذبكم بذنوبكم؟ يعلمهم - عز ذكره - أنهم أهل فرية وكذب على الله - جلَّ وعزَّ -[٢].

رميهم مريم - عليها السلام - بالزنا، وحاشاها:

افتروا على مريم - عليها السلام - ورموها بالزنا، وهو البهتان العظيم، لأنهم رموها بذلك، وهي مما رموها به بغير ثبت ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول.

عداوتهم لجبريل عليه السلام:

لقد أجمع أهل العلم بالتأويل جميعًا، أن اليهود زعموا أن جبريل عدو لهم، فكأن الله قال لنبيه: قل يا محمد - لمعاشر اليهود من بني إسرائيل، الذين زعموا أن جبريل لهم عدو، من أجل أنه صاحب شطوات وعذاب عقوبات، ولا صاحب وحي وتنزيل ورحمة، فأبوا اتباعك، وجحدوا نبوتك، وأنكروا ما جئتهم به من آياتي وبينات حكمي، من أجل أن جبريل وليك، وصاحب وحي إليك، وزعموا أنه عدو لهم -: من يكن من الناس لجبريل عدوا، ومنكرًا أن يكون صاحب وحي

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٨.
(٢) ينظر: جامع البيان (١٠/١٥٢).

الله إلى أنبيائه، وصاحب رحمته، فإني له ولي وخليل، ومقر بأنه صاحب وحي إلى أنبيائه ورسله، وأنه هو الذي ينزل وحي الله على قلبي، من عند ربي، بإذن ربي له بذلك، يربط على قلبي، ويشد فؤادي[(١)]،[(٢)].

ارتشاؤهم لكتمان نبوة محمد ﷺ:

لقد أخفى اليهود أمر محمد ﷺ ونبوته، وكتموا الناس ذلك، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة، برشي[(٣)] كانوا أعطوها على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾[(٤)] الآية.

اتباعهم ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان:

وبّخ الله أحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله ﷺ فجحدوا نبوته[(٥)]، وهم يعلمون أنه لله رسول مرسل، بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[(٦)] ففيه تأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتاب الله، واتباعهم واتباع أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين في عهد سليمان عليه السلام ومن ذلك السحر، وأمر السحر لم يزل في اليهود[(٧)].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٣٧٧، ٣٨٦-٣٨٧).

(٢) هناك إشارة إلى هذا الموضوع في محل آخر من هذا البحث.

(٣) رشى: جمع. مفرده: رشوة، وهي: الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة. والراشي: هو من يعطي الذي يعينه على الباطل. النهاية لابن الأثير (٢/٢٢٦).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٤.

(٥) ينظر: جامع البيان (٣/٣٢٧).

(٦) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٧) ينظر: جامع البيان (٢/٤٠٨-٤٠٩).

زمن تفضيل اليهود:

فُضل اليهود على عالم من كانوا بين ظهرانيه، أيام أن كانوا في طاعة الله، باتباع رسوله إليهم، وتصديقه وتصديق ما جاءهم به من عند الله.. وهم غير مفضلين على أمة محمد ﷺ [١].

لا يتمنون الموت:

أخبر الله عن اليهود وكراهتهم للموت، وامتناعهم عن الإجابة إلى ما دعوا إليه من تمني الموت لعلمهم بأنهم إن فعلوا ذلك فالوعيد بهم نازل، والموت بهم حال، ولمعرفتهم بمحمد ﷺ أنه رسول الله مرسل، وهم به مكذبون، وأنهم لم يخبرهم خبرًا إلا كان حقًا كما أخبر، فهم يحذرون أن يتمنوا الموت، خوفًا أن يحلَّ بهم عقاب الله، بما كسبت أيديهم من الذنوب [٢].

لعن الله لهم:

لقد أخزى الله اليهود ولعنهم، فأقصاهم وأبعدهم من الرشد واتباع الحق، بجحودهم نبوة نبيه محمد ﷺ وما جاؤهم به من عند ربهم من الهدى والبينات، فلا يصدقون بمحمد ﷺ وما جاءهم به من عند ربهم، ولا يقرون بنبوته إلا إيمانًا قليلًا [٣].

مواضيع لم ترد في هذا الحرف:

- اليهود والنصارى = أهل الكتاب

---

(١) ينظر: السابق (٢/ ٢٥ و٥٧٣).
(٢) ينظر: جامع البيان (٢/ ٣٦٧)، وط. الحلبي (٢٨/ ٩٩)، وقد تحققت هذه المعجزة في زمن الرسول ﷺ فلم يجرؤ أحد من اليهود أن يتمنى الموت، مع شدة عداوتهم للمؤمنين ولرسولهم، وحرصهم على انتهاز أية فرصة للتأثير عليهم.. لكن هل هذه المعجزة مستمرة إلى عصرنا هذا أم لا..؟ فإن كانت مستمرة فهي من الأدلة الحسية على صدق المؤمنين، وإن لم تستمر فيكفي أنها تحققت في عصر النبوة.. وكفى!
(٣) ينظر: جامع البيان (٨/ ٤٣٩).

أهم نتائج هذا البحث

بعد تلك الجولة ـ شبه المستقصية ـ للمسائل العقدية التي تناولها ابن جرير في كتبه: التفسير، وتهذيب الآثار، ورسالته (شرح السنة) تبين لي ما يلي:

١- ذكر الذهبي أن له كتابا اسمه (التبصير، في أصول الدين)، كتبه لأهل (آمل) بطبرستان، بلده الأم، ولكنني بحثت وسألت فلم أجد خبرًا عنه.. وكان الذهبي قد نقل جملة منه.. فلعلي أعثر عليه في يوم ما، فأستفيد منه في تنقيح هذا الكتاب.

٢- تناول ابن جرير في كتبه الثلاثة أمهات المسائل العقدية، وقرر في معظمها ما يعتقده بشأنها. وتعرض للكثير من المسائل الفرعية منها..

٣- اتضح لي ـ وكان من قبل ظنًا وانطباعًا ـ أنه اتبع منهج أهل السنة والجماعة، وطريقة السلف على الأخص في تقرير مسائل العقيدة حيث يقول عن الصحابة رضي الله عنهم وإمامتهم ـ مثلًا: أولى الصحابة بالإمامة (أي الرئاسة العليا للدولة المسلمة) أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهم أفضل الصحابة بهذا الترتيب. [صريح السنة: ٢٤]. وقد قال عنه الذهبي: إنه رُمي بالتشيع: فهذا دليل على عدم صحة ذلك ـ مع أنه معروف تشيع أهل السنة وهو تفضيل علي على عثمان رضي الله عنهما.

٤- مصادره في تقرير عقيدته كانت مصدرين لا ثالث لهما: إن شئت أن تفرق بين القرآن والسنة الثابتة لديه ـ على الأقل. أو هو مصدر واحد هو الوحي بنوعيه وكانت له آلتان يصل بهما إلى استجلاء مراد الله عز وجل ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم من هذا الوحي وهما:

أولًا: العقل الثاقب والبصيرة النيرة والذهن المتوقد، الذي هيأ له صاحبه الجو الملائم بالإعراض عن مباهج الحياة وزخارفها وملهياتها ـ حتى ألزم الأمور: الزوج، والولد.

ثانيا: سبر أغوار بحور العربية وقوانينها، والإحاطة بأقوال العرب وفنون تعبيراتهم.. وهذا هو علم العرب الفطري النقي المكنوز..

وقد اكتفى بهاتين الآلتين عن الالتجاء إلى غيرهما من أدوات الآخرين وآلاتهم الفكرية التي لا تصلح ـ بالضرورة ـ لكل علم وفكر، حيث إن آلات الفكر تختلف عن آلات الحس.

٥- لاحظت عدم تشدده في الانتصار لطريقة السلف ـ كما يفعل بعض المتأخرين ـ غيرة منهم وحماسًا.. ولكنهم لا يعذرون في الالتزام بالموضوعية وأدب العلم... وقد كان ابن جرير ملتزمًا ـ دائمًا بالاتزان والموضوعية العلمية، بشكل يقترب من المثالية.. إن لم يكن مثاليًا..

٦- صياغته لهذه العقيدة اعتمد فيها على سهولة العبارة وإحكامها ـ وإطالة النفس فيها، إذا لزم الأمر ـ لكي تنضبط مضامينها، ولو لم يتوافر لها الحسن البياني والبلاغي، لدرجة تصل ـ أحيانًا ـ إلى شيء من الغرابة، وذلك حرصًا على عدم احتمال العبارة لأي معنى آخر غير مراد..

٧- أعرض الإمام ابن جرير عن ذكر أسماء الأشخاص أو المذاهب أو الطوائف عند مناقشتهم، ومعالجة مذاهبهم وأقوالهم، وكان إذا اضطر إلى الإشارة إلى بعضهم استخدم الكناية ولم يذكر الاسم المباشر، وهذا هو الأسلوب الأخلاقي الذوقي الرفيع، الدال على الحيادية والمنهجية.. فهدفه الأفكار. والحجج والبراهين، وليس الأشخاص والطوائف، فهو يهمه إثبات صحة المعتقد

أو فساده دون الالتفات إلى قائله.

٨- ليس لمصطلحات المتكلمين أو الفلاسفة أي ورود على لسانه، ما عدا مرة واحدة مر بي مجيء صفة (القديم) في جملة نقلها عن غيره، ولم يتوقف عندها أو يحذفها.. ومعلوم في عرف الباحثين - أن الناقل يتحمل مثل مسؤولية القائل إذا نقل وسكت ولم يبين.

٩- وربما تكون هذه من السلبيات هو أنه - رحمه الله - يورد أحيانًا في المسألة الواحدة أكثر من رأي، فيستدل لأحدها ويركز عليه، دون ذكر أدلة الآراء الأخرى. ثم يترك القضية مفتوحة دون اختيار أو ترجيح، وكان الأولى أن يستعرض أدلة الجميع، ثم يرجِّح ما يذهب إليه، أو يصير إلى الاختيار الثاني وهو تقرير ما يراه فحسب.

١٠- وجدت أن موضوعات قد مرَّ بها ولم يقف عندها ويبين عقيدته فيها بالقدر الكافي خاصة أن بعضًا منها كان مُثارًا في زمنه، مثلُ بعض الصفات الذاتية للرب - جل شأنه - كصفة اليدين والاستواء وعلوِّ الذات، ومثل من يقرأ: ﴿وكلم اللهَ موسى﴾ بنصب اسم الجلالة بدلا من القراءة الوحيدة برفع اسم الجلالة.

* * *

الخاتمة

لقد تبين من خلال هذا البحث في عقيدة الإمام ابن جرير الطبري المنهج الذي كان ينهجه في مجال الاعتقاد، وصار الانطباع الذي لديّ عن منهجه ذلك حقيقة علمية راسخة، ويتلخص ذلك في أن هذا الإمام قصر اعتماده على الموارد المعتمدة، ولم يتخطها إلى ما سواها، وهذه الموارد الثابتة لعقيدة المسلمين هي الوحي، قُرآنًا يتلى، أو سنة عن رسول الله ﷺ يرويها الثقات، وتثبت لدى أهل العلم بالنقل، ثم الآلتان اللتان يتوصل بهما إلى الفهم الصائب لهذا الوحي، وهما العقل المتفتح الناضج، والذهن الثاقب الوقَّاد، ثم معرفة قوانين العربية، ومأثورات العرب من علمهم المكنوز، وطرائق تعبيرهم وفنون أقوالهم وأحاديثهم، وهذا ما استجمعه هذا الإمام واحتواه، ثم وظفه أحسن توظيف، وثمره أجود تثمير في سبيل العلم النافع، ومنه: الخروج بعقيدة صافية نقية، لا يلحقها جهل، ولا يشوبها هوى، وهذا ما انتهى به إلى تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة ـ على طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وبخاصة في أمهات المسائل العقدية وكبرياتها، ثم التعلق بها والانتصار لها، والاستغناء بها عما سواها من مذاهب وفلسفات.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الألف

الباء

التاء

الجيم

الراء

السين

الشين

الصاد

الطاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

الميم

النون

* * *